مُعجزاتِ الأنبياءِ ﷺ و كرامات الصحابة

للأطفال

الشيخ
محمود المصرى
أبو عمار

مكتبة الصفا

مُعجزات الأنبياء

و

كرامات الصحابة

للأطفال



بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٧٥٢٨

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عونس أفندي صالح

١٢٧ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠
الدراسة الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٠١٠١٤٣١١١١ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

مُعجزاتِ الأنبياءِ و كرامات الصحابة للأطفال

الشيخ

محمود المصرى

أبو عمار



تليفون: ٢٥١٤٧٢٢ - تليفاكس: ٢٥١٤٧٩٧٤









مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤلان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل

واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى، ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة للأطفال» لفضيلة

الداعية محمود المصرى .

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة .

يعلمهم فيه أصول دينهم .

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل .

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات ، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

* حبايبى الحلوين:

فبعد أن تعايشنا بقلوبنا وأرواحنا مع تلك المجموعة التى قدمتها لأبنائى وبناتى وهى: قصص الأنبياء - قصص القرآن - قصص الرسول ﷺ - سيرة الرسول ﷺ - أصحاب الرسول ﷺ - أمهات المؤمنين - حكايات عمو محمود (الجزء الأول والثانى) - تفسير جزء عم - أخلاق الرسول ﷺ - الآداب الإسلامية للطفل المسلم.

ها أنا أقدم لكم اليوم هذا الإصدار الجديد والذى هو بعنوان:

«معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة».

أتناول من خلاله الحديث عن المعجزات التى حدثت لكل الأنبياء منذ آدم - عليه السلام - وإلى رسولنا الحبيب محمد بن عبد الله ﷺ.

وتناولت بعدها تلك الكرامات التى حدثت لأصحاب

الرسول ﷺ والتى تُعتبر معجزة من معجزات النبى ﷺ .. وذلك لأنهم لم يفوزوا بتلك الكرامات إلا بسبب اتباعهم لرسول الله ﷺ .

* ونحن نعلم أن الوقوف على تلك المعجزات والكرامات تجعل القلب يزداد إيمانًا ويقينا وثباتًا .

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع (معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة) .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمرو / محمود المصرى

أبو عمار

معجزات الأنبياء

(صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين)



الفرق بين المعجزة والكرامة وغيرهما

* حبايبي الحلوين:

* لابد أن نعلم أولاً أن هناك فرقًا بين المعجزة والإرهاصة والكرامة والمعونة والإهانة والاستدراج.

(١) المعجزة:

فالمعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على أيدي الأنبياء والمرسلين وهي تقترن برسالتهم... كانشقاق القمر لرسول الله ﷺ.. وقلب العصا إلى حية لموسى - عليه السلام - وغير ذلك.

ولقد أيَّد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات التي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ليعلموا أن هذا لا يكون إلا بتأييد من الحق جل جلاله الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كُن فيكون.

وكانت كل معجزة تتناسب مع أحوال الناس.

فإنه لما كان السحر متفشيًا فى قوم فرعون أكرم الله نبيه موسى - عليه السلام - بمعجزة تفوق هذا السحر فإذا بعصاه تلقف ما يأفكون.

ولما كان الناس فى عهد عيسى - عليه السلام - على درجة عالية من الطب أكرم الله نبيه عيسى - عليه السلام - بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب في أرض الجزيرة على درجة عالية من البلاغة والفصاحة أكرم الله نبيه محمدًا ﷺ بمعجزة القرآن الذى تحدَّى الله به الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله.

ونحن إذا تكلمنا عن تلك المعجزات فإن ذلك يجعل الإيمان يزداد في قلوبنا.. وإن كنا - ولله الحمد - نؤمن بنبينا ﷺ وإن لم يكن له معجزة واحدة فنحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأنه سيد الأولين والآخرين وأنه أكرم الناس على الله (جل وعلا).

٢- الإرهاص:

ومن الأمور الخارقة للعادة وإن لم يكن معجزة لفقد شروط المعجزة: الإرهاص. . . وهو ما يظهر للنبى قبل بعثته من أمور عجيبة لا تظهر لسائر البشر كقصة ولادته ﷺ وما وقع من الله فى إهلاك الفيل وأهله.

٣- الكرامة:

ثم نأتى لأمر آخر خارق للعادة وإن لم يكن من المعجزات لافتقاد شروطها. . . وهى الكرامة.

الكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن ملتزم لمتابعة نبى مُكلَّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح عَلِمَ بها أو لم يعلم فما يجرى على يد الأولياء من خوارق وعجائب تُسمَّى كرامات وقد تُسمى الكرامة آية لأنها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى، لأن كل كرامة أولى هى معجزة لنبيه.

والولى: هو العارف بالله تعالى وبصفاته. . المواظب على طاعته لله، المجتنب معصيته. . . وسُمّى الولى بهذا

لأن الله تولى أمره فلم يكِله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، والله تعالى يتولى عباده دائماً.

- وهناك بعض المواقف تدل على الكرامة:

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الأعداء من مسافة شهر فقال: «يا سارية الجبل»[1] فسمع سارية قائد جيش المسلمين صوته فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى... فتلك كرامة لعمر أن رأى من تلك المسافة... كذلك لسارية أن سمع من المسافة نفسها.

روى أن عبد الله بن شقيق كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها: أقسمت عليك بالله إلا أمطرتِ فتمطر في الحال.

هذا قليل القليل من كثير من كرامات الصحابة والأولياء.

٤- المعونة:

ومن الأمور الخارقة للعادة أيضاً: المعونة.

فهناك أمر قد لا يظن الإنسان الصالح وجوده أو

(١) سارية: قائد جيش المسلمين.

حدوثه ثم يقع له حسب رغبته أو حسب ما ينجيه كمن كان في صحراء وظهر له الأسد فوجد شجرة في مكان لا توجد في مثله الأشجار فتسلقها ونجى من الأسد.

٥- الإهانة:

ومن الأمور الخارقة للعادة: الإهانة - أعاذنا الله من كل سوء - وهي أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد كاذب يدَّعي النبوة على عكس مراده كما وقع لمسيلمة الكذاب عندما تفل في عين رجل - عوراء - لتصح فعميت الاثنتان أخزاه الله ولعنه.

٦- الاستدراج:

ثم نأتي إلى آخر الأمور الخارقة للعادة: الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مُدَّعي الألوهية كما يقع للمسيح الدجال عندما يقتل شخصاً ثم يُحييه ولكن بعد ذلك يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر[1].

* * *

(١) صحيح معجزات النبي ﷺ / للحافظ ابن كثير (ص١٨-١٩).

معجزة خلق آدم (عليه السلام)

ثم شاء الله (عز وجل) أن يخلق آدم، وذريته، ليسكنوا الأرض، ويعمروها، فأنبأ ملائكته أنه سيُنشئ خلقًا آخر، يسعون في الأرض، ويمشون في مناكبها[1]، وينتشر نسلهم في أرجائها، فيأكلون من نبتها، ويستخرجون الخيرات من باطنها، ويَخْلُف بعضهم بعضًا فيها.

* فلما أخبرهم الله (عز وجل) أنه سيخلق خلقًا غيرهم خافوا أن يكون ذلك لتقصير وقع منهم، أو لمخالفة كانت من أحدهم فأسرعوا إلى تبرئة أنفسهم، وقالوا: كيف تخلق غيرنا، ونحن دائبون على التسبيح بحمدك، وتقديس اسمك؟! على أن هؤلاء الذين تستخلفهم في الأرض لا بد أن يختلفوا على ما فيها من منافع، ويتجاذبوا ما بها من

(١) مناكبها: جوانبها ونواحيها.

خيرات، فيُفسدوا فيها، ويسفكوا الدماء.

لقد قال الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1].

لأنهم رأوا ما فعله الجن - قبل أن يُخلق آدم - من الإفساد وسفك الدماء.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كانت الجن قبل آدم بألفي عام، فسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم جندًا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور.

* ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصِّدِّيقون والشهداء والصالحون[3].

خلق آدم (عليه السلام) من تراب

وكان بداية خلق آدم - عليه السلام- من التراب... ولقد أخبرنا الله (جل وعلا) بهذه الحقيقة في كتابه فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ

(١)، (٢) سورة البقرة: الآية: (٣٠).
(٣) قصص الأنبياء / الحافظ ابن كثير (ص: ٢٥).

عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وقال ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحَزَن وبين ذلك»[2].

* أما عن تفاصيل خلق آدم - عليه السلام - من تراب فلقد أمر الله جبريل أن ينزل إلى الأرض ليأتيه من ترابها فلما نزل قالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئًا فتركها وعاد إلى ربه فقال: يا رب إنها عاذت بك فأعذتُها.. فأرسل الله ميكائيل ليأتيه من تراب الأرض فلما نزل قالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئًا فتركها وعاد إلى ربه فقال: يا رب إنها عاذت بك فأعذتها.. فأرسل الله ملك الموت ليأتيه من ترابها فقالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئًا فقال لها ملك الموت: وأنا أعوذ بالله أن أرجع دون أن أُنفذ أمر الله (جل وعلا).. فأخذ ملك الموت من تراب الأرض كلها

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٥٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٩٥٥)، وأبو داود (٤٦٩٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٦٣٠).

ولم يأخذ من مكان واحد بل أخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج الناس مختلفين في ألوانهم وطبائعهم وأخلاقهم ومشاعرهم وذلك لاختلاف طبيعة الأرض التي خُلق منها كل إنسان.

فقال الله لملك الموت: أما رَحِمت الأرض حين تضرعت إليك؟

فقال ملك الموت: لقد رأيت أن تنفيذ أمرك أوجب من قولها.

فقال الله له: أنت تصلح لقبض أرواح بني آدم.

ثم عُجِنَت هذه القبضة من التراب بالماء فصارت طينًا، ثم جفَّ ويبس حتى صار كالفخار، وكان آدم - عليه السلام - في هذه المراحل جسدًا،... مجرد جسد بلا روح ولا حياة فبعد أن خلقه الله من الطين، صوره وسوَّاه وجعله تمثالًا كجسمه على صورة إنسان، وتركه في الجنة مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله،... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[1].

(1) سورة الإنسان: الآية (1).

ثم نُفخ فيه الروح فعطس وتحرك جسده ودبَّت فيه الحياة وأصبح إنسانًا يتنفس ويرى ويسمع.

فـفتح آدم - عليـه السلام - عـينيه فـرأى الملائكة كلهم سـاجـدين له سـجـود تحيـة ولـيس سـجـود عبادة.... ماعدا واحـدًا يقف بعيدًا ويرفض السجود لآدم - عليه السلام-.. وهو إبليس اللعين.



سفينة نوح (عليه السلام)

ولقد أيَّد الله نبيه نوحًا - عليه السلام - بمعجزة كبيرة.. ألا وهي أنه أوحى إليه بكيفية صناعة السفينة التي سينجو عليها هو ومن معه من المؤمنين.. بل وجعل تلك السفينة تسير وتجري بهم في وسط أمواج أعلى من الجبال.. وكذلك لما دعا على قومه بالهلاك عندما أصروا على الكفر ففتح الله أبواب السماء بالماء وجعل له الأرض عيونًا من الماء.

وها هو يصنع سفينة النجاة

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

(1) سورة هود: الآية: (٣٦).

لقد حزن نوح على استسلامهم للكفر وانقيادهم للشيطان بعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا التوجيه، والتنوير، والإنذار، والإطماع، والوعد بالمال والبنين والرخاء، بعد هذا كله كان العصيان، وأوحى الله إلى نبيه نوح ما قصَّه في كتابه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1].

فالقلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه... هكذا أوحى الله إلى نوح، وهو أعلم بعباده، وأعلم بالممكن والممتنع، فلم يبقَ مجال للمُضي في دعوة لا تفيد. ولا عليك مما كانوا يفعلونه من كفر وتكذيب وتحدٍّ واستهزاء.

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: لا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم... دَعْ أمرهم فقد انتهى..

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[2] برعايتنا وتعليمنا.

﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة هود، الآية: (٣٦).

(٢)، (٣) سورة هود، الآية: (٣٧).

فقد تقرر مصيرهم وانتهى الأمر فيهم. فلا تخاطبنى فيهم .. لا دعاء بهدايتهم، ولا دعاء عليهم.

* ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1].

* بدأ نوح - عليه السلام - بتنفيذ أمر ربه فى اتخاذ الفلك - السفينة - ولم يكن لنوح ولا لغيره معرفة بصنع السفينة، لذا فقد أوحى الله إليه بطريقة صُنعها، وعلَّمه كيف ينبغى أن تكون، .. قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[2].

* وشرع نوح - عليه السلام - يصنع الفلك تحت أمر الله ووحيه، وأعد العدة لذلك، وأخذ فى تنفيذ المهمة الربانية ويبدو أن امرأته كانت تراه وهو ينقل الأخشاب، ومن ثم يبدأ العمل فى صناعتها على شكل سفينة .. ولكن ليس قرب البحر، أو قرب نهر كبير، مما أثار دهشة امرأته واستغرابها، وراحت تسأله فى تهكم: ماذا تصنع بهذه الأخشاب يا نوح؟!

---

(1) سورة هود: الآيتان: (38، 39).

(2) سورة هود: الآية: (37).

فقال نوح - عليه السلام -: سفينة أنجو بها ومن معى من المؤمنين إذا جاء أمرُ الله.

فقالت فى سخرية شديدة: وأين الماء الذى تجرى عليه سفينتك؟

• ويشارك ملأ الكفار في السخرية بنوح كلما رأوه ينجز قسمًا من السفينة، كانوا يقولون له ساخرين متسافهين ضاحكين: يا نوح، صرت بعد النبوة نجارًا، إن هذا لشىء عُجاب!

ثم أسرفوا فى استحضار السخرية، وفى التمادى والازدراء والهزء فقالوا: يا نوح، لو كنت صادقًا فى دعواك لكان إلهك الذى تصفه لنا وتدعونا إليه يساعدك فى هذا العمل، أو يغنيك عن هذا العمل الشاق، ألا ترى يا نوح أن هذا قمة الجهل؟!

ظل نوح - عليه السلام - يتابع عمله، ولا يعبأ بسخرية الساخرين، فلما أغرقوا فى سخريتهم ورميهم إياه بالجهل قال لهم مُذكرًا: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1][2].

قال: إن تسخروا منا لهذا العمل ومباشرة أسباب الخلاص

---

(١) سورة هود: الآية: (٣٨).

(٢) نساء الأنبياء (ص: ٦٩ ، ٧٠) بتصرف.

من العذاب، فإنا نسخر منكم لما أنتم فيه من الإعراض.

إن تسخروا منا في الدنيا، فإنا نسخر منكم في الدنيا والآخرة.. في الدنيا عند الغرق، وفي الآخرة عند الحرق.

اليوم لكم فرح وغدًا ترح، اليوم حبرة وغدًا عبرة، اليوم لطف وغدًا أسف، اليوم لقاء وغدًا بكاء، يوم يكشف المستور عن المحذور!

لما يئس منهم بعد ألف سنة إلا خمسين عامًا، وأصبحوا لا يلدون إلا فاجرًا كفَّارًا، فلَزِم تطهير الأرض منهم، ولا يصلح لذلك إلا الطوفان[1].

انتهى صنع السفينة، وجلس نوح - عليه السلام -، ينتظر أمر الله سبحانه وتعالى، أوحى الله - جل جلاله - إلى نوح أنه إذا فار التنورُ فهذه علامة على بدء الطوفان.

التَّنُّور: الفرن الذي يُخبز فيه الخبز - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].

وجاء اليوم الرهيب، فار التنور، وأسرع نوح يفتح

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٤٤٢).

(٢) سورة هود: الآية: (٤٠).

سفينته ويدعو المؤمنين إليها . . . وهبط جبريل - عليه السلام - إلى الأرض، وأمر الله نوحًا - عليه السلام - أن يأخذ معه في السفينة ذكرًا وأنثى من كل كائن حي: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ (١).

فحمل نوح إلى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، بقرةً وثورًا، فيلاً وفيلة، عصفورًا وعصفورة، نمرًا ونمرة، إلى آخر المخلوقات، لضمان بقاء نوع الحيوان والطير على الأرض، وبدأ صعود السفينة، فوضع نوح في الدور الأسفل من السفينة الحيوانات والوحوش، واستقر هو والمؤمنون في الدور الأوسط، أما الطيور فقد استقرت في الدور الثالث، وكان عدد المؤمنين قليلاً . . قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٢).



(١)، (٢) سورة هود: الآية: (٤٠)

لم تكن زوجة نوح مؤمنة بالله فلم تصعد معه إلى السفينة، وكان أحد أبنائه يُخفى كفره ويُبدى الإيمان أمام أبيه نوح - عليه السلام -، فلم يصعد هو الآخر، وكانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى، فلم تصعد، وصعد المؤمنون... قال ابن عباس ﷺ: آمن من قوم نوح ثمانون إنسانًا [1].

فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر

ويصور الله - عز وجل- لنا هذا المشهد المهيب عندما قام نوح - عليه السلام- يرفع أكُفّ الضراعة إلى الله - عز وجل-.

* ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [2].

وكأنه يقول لربه (عز وجل) بلسان الحال: انتهت طاقتى... انتهى جهدى، انتهت قوتى، وغُلبت على أمرى ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ انتصر أنت يا ربى. انتصر لدعوتك، انتصر لحقك انتصر لمنهجك انتصر أنت فالأمر أمرك، والدعوة دعوتك، وقد انتهى دورى!

(١) ابن الإسلام (ص: ٥٦، ٥٧) الشيخ / محمد حسين يعقوب.
(٢) سورة القمر: الآية: (١٠).

وما تكاد هذه الكلمة تُقال، وما يكاد الرسول يسلم الأمر للواحد القهار، حتى تشير اليد القادرة القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة .. فتدور دورتها المدوية المجلجلة: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[1] .. والتقى الماء المنهمر بالماء المتفجر من الأرض .. ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .. التقيا على أمر مُقدَّر.

ارتفعت المياه من فتحات الأرض، انهمرت من السماء أمطار غزيرة بكميات لم تَر مثلها الأرض، فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة، .. فقدت البحار هدوءها، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة، وتكتسح الأرض، وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولى في المياه.

---

(١) سورة القمر: الآيتان: (١١، ١٢).

وكتب الله النجاة للمؤمنين

* نجا المؤمنون جميعهم عندما صعدوا السفينة، ووقاهم الله شر ذلك الطوفان، وجعل لهم ودًّا، وغرق الكافرون الساخرون وأهلكهم الله عز وجل .. فإذا الصمت يُخيم.. لا حس ولا حركة، ولا صوت للكافرين.

لم يبق إلا صوت هدير الماء، وتوحيد المؤمنين من على السفينة، يُسبحون بحمد ربهم .. فقد انتصر طوفان الإيمان على طغيان الكفر وعلى طوفان الفسق والسخرية.

* ارتفعت السفينة فوق الماء، وعلا الموج، وغطى الأرض، فغدت كرة من الماء، لم تعد كرةً أرضية طيلة فترة الطوفان،... لقد تجاوز الماء وطغى على كل شيء حتى رؤوس الجبال الشاهقات.

* غرقت امرأة نوح، لم تركب مع المؤمنين في السفينة ظنت أن بيتها يمنعها من الماء ويحميها من هديره، لكن لا عاصم اليوم من أمر الله.

* وأصبحت قصة امرأة نوح مثلاً .. اقرأ معي قول

الباري جل وعلا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين

وأما نوح - عليه السلام - فإنه لما ركب السفينة وأدخل فيها المؤمنين وأهله - كما أمره الله - وإذا به يرى ابنه (يام) (ويقال له: كنعان) في جهة خارج السفينة فأخذ يناديه لعله يلحق بقافلة المؤمنين.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[2].

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾: أنهى الموج حوارهما فجأة.

نظر نوح فلم يجد ابنه، لم يجد غير جبال الموت التي

(١) سورة التحريم: الآية: (١٠)

(٢) سورة هود: الآيتان: (٤٢، ٤٣).

ترتفع وترفع معها السفينة، وتفقدها رؤية كل شيء غير المياه، وشاء الله أن يغرق الابن بعيدًا عن عين الأب، رحمة منه بالأب، واعتقد نوح أن ابنه مؤمن، وتصور ابنه أن الجبل سيعصمه من الماء، فغرق ولم يعلم أنه من الكافرين.

واستمر الطوفان، استمر يحمل سفينة نوح، وبعد ساعات من بدايته، كانت كل عين تطرف على الأرض قد هلكت غرقًا، لم يعد باقيًا من الحياة والأحياء غير هذا الجزء الخشبي من سفينة نوح، وهو ينطوي على الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض، وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت بعناية[1].

* * *



(١) ابن الإسلام (ص: ٥٨).

تسخير الريح لهود (عليه السلام)

لما رفض قوم عاد أن يتركوا عبادة الأصنام وأن يعبدوا الله - جل وعلا - بل وسخروا من نبي الله هود - عليه السلام - واستعجلوا نزول العذاب أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين وبدأ الجفاف ينتشر في الأرض فلم تعد السماء تُمطر قطرة واحدة.

فأسرع قوم عاد إلى هود - عليه السلام - ليسألوه: ما هذا الجفاف؟! فأخبرهم أن الله قد غضب عليهم وسيُنزل عليهم العذاب إلا إذا تابوا وعادوا إلى الله وتركوا عبادة الأصنام..

فسخروا من هود - عليه السلام - وازدادوا عنادًا وسخرية وكفرًا.

* وكان الجفاف يزداد يومًا بعد يوم حتى اصفرت الأشجار الخضراء ومات الزرع وكاد الناس أن يهلكوا جميعًا.

* وكان الناس قد تعودوا أنهم إذا حدث عندهم قحط وجدب

فإنهم يذهبون إلى الحرم - بمكة - فيطلبوا الفرج من الله - جل وعلا- فأرسلت عادٌ وفدًا من سبعين رجلاً ليذهبوا إلى الحرم ويسألوا الله أن يرسل عليهم المطر حتى تعود الحياة مرة أخرى.

* وذهب الوفد إلى الحرم وكان العماليق مقيمين هناك وكان سيدهم اسمه (معاوية بن بكر) فنزلوا عنده شهرًا كاملاً يشربون الخمر ويستمعون الغناء من جاريتين عند معاوية بن بكر.. فلما طالت مدة إقامتهم عند معاوية أراد أن يخبر القوم بأنهم لابد أن يعودوا إلى قومهم حتى لا يموتوا من شدة الجدب.. فكتب أبياتًا من الشعر ليفهموا من خلالها أنهم لا بد أن يرجعوا إلى قومهم وجعل الجاريتين تغنيان بعض الأبيات الشعرية.

* فعند ذلك تذكر الوفد أنهم لا بد أن يذهبوا الآن إلى الحرم ليسألوا الله أن يرسل عليهم المطر.

فقام واحد منهم اسمه (قيل بن عنز) فدعا فجاءت ثلاث سحابات: سحابة بيضاء وأخرى حمراء والثالثة سوداء.

ثم ناداه مناد من السماء: اختر لنفسك ولقومك سحابة من هذا السحاب، فاختار السحابة السوداء ظنًّا منه أنها أكثر السحاب ماءً.

فناداه هذا المنادى وقال: لقد اخترت الدمار لقومك فلن يبقى منهم أحد أبداً.

وسارت السحابة السوداء إلى قوم عاد فلما رأوها استبشروا أن يكون فيها الماء ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]، فلم تترك شيئاً أمامها إلا دمرته.. وكانت أول من رأت هذا الدمار امرأة اسمها فهد فلما رأت هذا الدمار صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها: ماذا رأيت، قالت: رأيت ريحاً فيها شُهب النار.

فسخَّرها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعات فلم تدع أحداً من قوم عاد إلا أهلكته.

تغير الجو فجأة، من الجفاف الشديد والحر إلى البرد الشديد القارس، بدأت الرياح تهب، اهتز كل شيء، اهتزت

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

وتزلزلت الأشجار والنباتات والرجال والنساء والخيام، واستمرت الريح، ليلة بعد ليلة، ويومًا بعد يوم، كل ساعة كانت برودتها تزداد، وبدأ قوم هود يفرون، . . . أسرعوا إلى الخيام واختبؤوا داخلها، اشتد هبوب الرياح واقتلعت الخيام واختبؤوا تحت الأغطية، فاشتد هبوب الرياح وتطايرت الأغطية، كانت الرياح تمزق الملابس وتمزق الجلد وتنفذ من فتحات الجسم وتدمره، لا تكاد الريح تمس شيئًا إلا قتلته ودمرته. وجعلته كالرميم.

استمرت الرياح مُسلطة عليهم سبع ليال وثمانية أيام لم تر الدنيا مثلها قط، ثم توقفت الريح بإذن ربها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا



عذاب أليم (٢٤) تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾[1] .

وقال عز وجل: ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾[2] .

لم يعد باقيًا من قوم هود إلا ما يبقى من النخل الميت ، مجرد غلاف خارجي لا تكاد تضع يدك عليه حتى يتطاير ذرات في الهواء[3] .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية ﴾[4] .

نجاة هود (عليه السلام) والمؤمنين

قال تعالى: ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (٢٤ ، ٢٥).
(٢) سورة القمر: الآيات: (١٨ - ٢٠).
(٣) ابن الإسلام (ص: ٦٩ ، ٧٠).
(٤) سورة الحاقة: الآيات: (٦ - ٨).

برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾[1].

لما جاء أمرنا بتحقيق الوعيد، وإهلاك قوم هود، نجينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة مباشرة منا. خلصتهم من العذاب العام النازل بالقوم، واستثنتهم من أن يصيبهم بسوء. وكانت نجاتهم من عذاب غليظ حلَّ بالمكذبين.

﴿ وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾[2].

* وهكذا تكون العاقبة الطيبة دومًا للمؤمنين . . . ويكون الدمار والهلاك للمجرمين والكافرين الذين يكفرون برب العالمين (جل وعلا).

* وهكذا طويت صفحة من صفحات الأمم الكافرة فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ونصر عباده المؤمنين ونجاهم من العذاب الذي سلطه على تلك الأمة العاتية ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآية: (٥٨).
(٢) سورة هود: الآيتان: (٥٩، ٦٠).
(٣) سورة يوسف: الآية: (٢١).

ناقة صالح (عليه السلام)

* وقد ذكر المفسرون: أن ثمودًا اجتمعوا يومًا في ناديهم[1] فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله، وذكَّرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقةً، من صفتها كيت وكيت.

وذكروا أوصافًا سمَّوها ووصفوها وأن تكون عُشراء طويلة[2]، ومن صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح - عليه السلام -: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أُرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهدهم ومواثيقهم على ذلك.

ثم قام إلى مُصلاه فصلى لله عز وجل ما قُدِّر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا. فأمر الله عز

(1) ناديهم: مكان اجتماعهم وسُمي بذلك لنداء الناس فيه على بعض... انظر لسان العرب جـ ٦/ ٤٣٨٩ «ندى» دار المعارف.

(2) يعني: حامل في الشهر العاشر وعلى وشك الولادة.

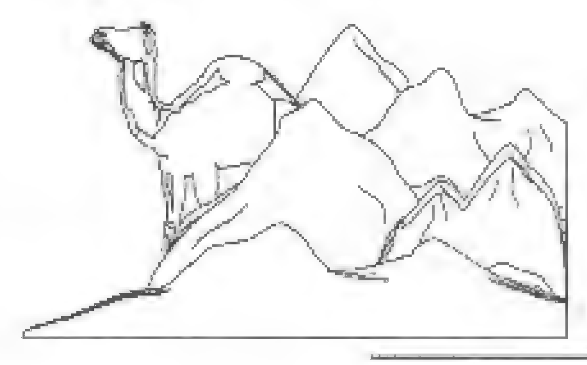
وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عُشراء، على الوجه المطلوب الذى طلبوا، أو على الصفة التى نعتوا.

فلما عـاينوها كذلك رأوا أمـراً عظيمًـا ومنظراً هائلاً، وقدرة بـاهرة ودليلاً قـاطعًا وبرهانًا سـاطعًا، فـآمن كثـير منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم[1].

ناقة مباركة

وظلت هذه الناقـة تعيش بينهم زمـانًا فى أمانٍ وذلك لأن صالحًا - عليه السلام - حذرهم من أن يمسوها بسوء فيحل عليهم عذاب الله وسخطه.

وأخبـرهم بأن هذه الناقة ستشـرب من الماء يومًا وهم

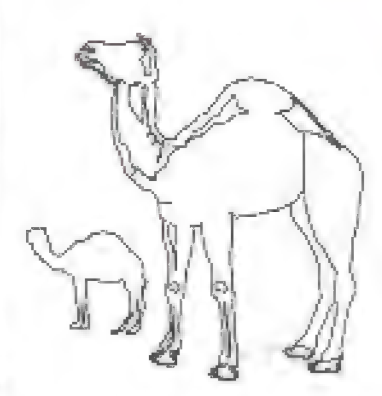


(١) تفسير الطبرى (٨/١٥٨، ١٥٩).

يشربون يومًا .. ففى اليوم الذى يشربون فيه تمتنع الناقة عن الماء وفى اليوم الذى تشرب فيه الناقة يمتنعون عن الماء ويحلبون لبن الناقة الذى كان يكفيهم أجمعين.

قال صالح - عليه السلام -: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1] فحذرهم نقمة الله عليهم إن أصابوا الناقة بسوء.. فمكثت الناقة بينهم حينًا من الدهر تشرب من الماء هى وفصيلها (ابنها) وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم.

وعقروا الناقة



فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع علماؤهم، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة، ليستريحوا منها ويتوافر عليهم

(١) سورة الشعراء: الآيات: (١٥٥، ١٥٦).

ماؤهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم . .

قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

وكان الذى تولى قتلها منهم رئيسهم: قَدَّار بن سالف.

※ وها هى قصة قتل الناقة:

كان (صُنيم بن هراوة) قد تزوج بامرأة غنية اسمها (صَدوق)، فلما آمن كان يستخدم ماله فى الإنفاق على نبى الله صالح والمؤمنين، فعاتبته صدوق لأنها كانت كافرة.

ثم أخذت أولادها فخبأتهم عند أبناء عمها، فقال صُنيم: رُدِّى علىَّ أولادى. فرفضت، فتحاكما إلى أبناء عمه وكانوا مؤمنين فردُّوا عليه أولاده.

فازدادت (صَدوق) كراهية لصالح - عليه السلام- الذى أنفق زوجها المال عليه، وآمن به، وفرق بينها وبين أولادها.

وكان لها صديقة اسمها (عُنيزة بنت غُنيم)، وكانت كافرة هى الأخرى وكان لها غنمٌ تخرج لترعى، فإذا رأت الغنم ناقة صالح

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧٧).

هربت من أمامها، ولا تجد الأغنام ماءً تشربه، فاغتاظت عُنيزة.

وجمع بينها وبين (صَدوق) كراهية صالح والمؤمنين معه واتفقتا على قتل الناقة.

وكُلما عرضتا المال على رجل ليقتل الناقة يرفُض لأنه رأى أن في هذا عمل فظيع فهي ليست ناقة عادية، وإنما هي آيةٌ من عند الله.

ولكن رجلاً واحدًا هو (مُصرعُ بن مهرج) كان يحب صَدوقًا ويريدها لنفسه، فوافق على قتل هذه الناقة، ثم خرج يبحث له عن أعوان لارتكاب هذه الجريمة القطيعة، فوافقه صديقه (قدار بن سالف) وكان عزيزًا في قومه.

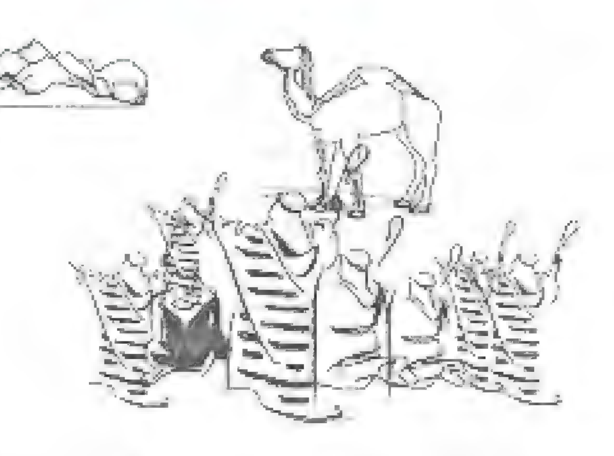
ثم انطلقا حتى صار عدد عصابتهم تسعة رجال يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون، وتزعّمهم قدار بن سالف أشقى القوم[1].

* انطلق هؤلاء الرجال التسعة الأشرار في تلك المهمة التي ستجلب عليهم غضب الله وسخطه وعذابه .. ذهبوا ليقتلوا الناقة.

---

(١) قصص الأنبياء للأطفال/ أ. حامد أحمد (ص: ١٣٩ - ١٤٢) باختصار.





بحثوا عنها حتى وجدوها قادمة من البئر فقام أحدهم وهو قدار بن سالف فرماها بسهم فأصاب ساقها فخرّت ساقطة على الأرض وأصدرت صوتًا لولدها لتُحذره ليهرب من هؤلاء المجرمين .. ثم قام الرجل وطعنها ثم ذبحها وسالت دماء الناقة على الأرض فلما رآها ولدها هرب إلى أعلى الجبل.

وحان وقت الهلاك

ولما علم نبي الله صالح - عليه السلام - بما حدث خرج غاضبًا على قومه وقال لهم: ألم أحذركم من أن تمسوا الناقة بسوء؟ فانتظروا العذاب الذى سيأتيكم من عند الله (جل وعلا).

* ومع ذلك سخروا منه وظنوا أنه يستهزئ بهم أو أنه يهددهم ولم يصدقوا أن العذاب سيحيط بهم من كل جانب فقالوا له في سخرية: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] فقال لهم صالح - عليه السلام-: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[2].

كيف نزل العذاب على الكافرين

* لقد وعدهم صالح - عليه السلام - أن ينزل بهم العذاب بعد ثلاثة أيام.. وكانوا قد قتلوا الناقة يوم الأربعاء وأصبحت ثمود يوم الخميس - وهو اليوم الأول من أيام المهلة - ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح - عليه السلام - وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل - وهو يوم الجمعة - ووجوههم محمرة. وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع - وهو يوم السبت - ووجوههم مسودة. فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنَّطوا وقعدوا ينتظرون نقمة

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧٧)

(٢) سورة هود: الآية: ٦٥.

الله وعـذابه، عـياذًا بالله من ذلك، لا يـدرون ماذا يفـعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب، . . . وأشرقت الشمس.

فجاءتهم صـيحة من السماء ورجفـة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت الأنفس في ساعة واحدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[1] صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صـغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثى إلا جارية كانت مُقعدة - واسمها: كلبة ابنة السِّلْق. ويقال لها: الزريقة. وكانت كافـرةً شديدة العداوة لصالح - عليه السلام - فلما رأت مـا رأت من العذاب أُطلقت رجلاها، فقـامت تسعـى كأسرع شيء، فـأتت حيًّا من الأحـياء، فأخبرتهم بما رأت وما حلَّ بقـومها، ثم طلبت منهم شربة ماء فلما شربت ماتت[2].

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧٨).

(٢) قصص الأنبياء (ص: ١٥٤).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٧٨).

عذابي ونذر (٣٠) إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾[1] .

* أما الذين آمنوا بسيدنا صالح، فكانوا قد غادروا المكان مع نبيهم ونجوا، . . . قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز (٦٦) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٦٧) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ﴾[2] .

* * *



(١) سورة القمر: الآيات: (٢٩ - ٣١).
(٢) سورة هود: الآيات: (٦٦ - ٦٨).

معجزات خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)

لقد بذل إبراهيم - عليه السلام- جهداً كبيراً فى دعوة قومـه لكى يتركوا عـبادة الأصنام ويعبـدوا الله جل وعلا ولكنهم رفضــوا فأخذ يُقنعــهم بشتَّى الوســائل والأساليب ولكنهم كــانوا فى غاية العناد والإصــرار على عبــادة تلك الأصنام.

* ولا يظن أحد أن إبراهيم - عليه السلام - دعا قومه مـرة واحدة بل اســتمـر فى دعوتهم ومـحاورتهم مـرات ومرات ومع ذلك لم يستجيبوا.

فلمـا يئس منهم توعَّدهــم بأن يكسر أصنامــهم فقــال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٥٧).

- أي: سأكسر تلك الأصنام التي تزعمون أنها آلهة لأريكم أنها لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع حتى أن تدافع عن نفسها.

عادوا فرأوا المفاجأة

وبعد يوم طويل من الاحتفال بيوم عيدهم .. عاد هؤلاء القوم وأسرعوا إلى المعبد ليأكلوا الطعام الذى باركته الآلهة - كما زعموا - وإذا بهم يرون المفاجأة التي لم تخطر على بالهم.

لقد وجدوا الأصنام مُحطمة قطعًا صغيرة ومع ذلك لم يفهموا أن هذه الأصنام لا تستطيع حتى أن تدافع عن نفسها فكيف تَصْلُح أن تكون آلهة!!

* قاموا فقالوا وهم في شدة الغضب: ﴿مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

(1) سورة الأنبياء: الآية: (٥٩).

ثم تذكروا أن إبراهيم - عليه السلام - هو الذى توعَّد أصنامهم فقالوا: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[1] أى: سمعناه يتكلم عن هذه الأصنام ويعيبها ويتوعدها.

* وفى التو واللحظة صدر الأمر بإحضار إبراهيم - عليه السلام - فقالوا للجنود: ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾[2].

خليل الرحمن يلقى فى النيران

أجمع قوم إبراهيم على قتل نبيهم انتصارًا لآلهتهم واختاروا له أفظع قتلة، وهى: الإحراق فى النار، وليس فى أى نار، بل بنوا بُنيانًا شاهقًا، ووضعوا فيه كميات كبيرة من الحطب شارك القوم كلهم فى جمعها.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾[3][4].

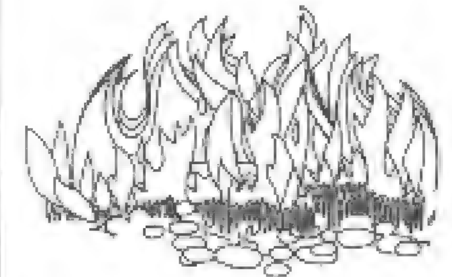
* لقد انتشر هذا الخبر فى المملكة كلها وجاء الناس من

(1) سورة الأنبياء: الآية: (٦٠).
(2) سورة الأنبياء: الآية: (٦١).
(3) سورة الصافات: الآية: (٩٧).
(4) فتح البارى (٧/٦-٢٠٦).

المدن والقرى والجبال ليشاهدوا مشهد إلقاء خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - في النار.

* وبدأ القوم في جمع الحطب من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق إبراهيم، ثم حفروا حفرة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار، فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم يُر مثله قط.

ثم وضعوا إبراهيم - عليه السلام - في كفة منجنيق[1] صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له «هيزن» وكان أول من صنع المجانيق، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[2] .. وهكذا كان جزاؤه من جنس عمله: أراد وضع إبراهيم - عليه السلام - في المنجنيق، ليرفعه إلى أعلى ويهوي به إلى أسفل فخُسف به إلى أسفل جزاءً وفاقًا.



---

(١) المنجنيق: آلة تُرمى بها الحجارة في الحرب.

(٢) قصص الأنبياء (ص: ١٧١).

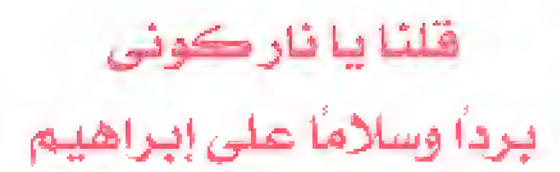
ومن يتوكل على الله فهو حسبه

في تلك اللحظات كان إيمان إبراهيم بربه أشد رسوخًا من الجبال... وكان ثقته بنصر الله وتأييده أقوى من الأرض ومن عليها ولهذا لم يهتم بتلك الحشود والجماهير ولم يخف من نيرانهم الملتهبة.

* لقد وضعوا إبراهيم - عليه السلام - في المنجنيق بعد أن قيدوا يديه ورجليه واشتعلت النار في الحفرة وتصاعد اللهب إلى السماء.. وكان الناس في هذه اللحظة يقفون بعيدًا عن تلك الحفرة لشدة اللهب الذي يخرج منها.

* وهنا أصدر كبير الكهنة أمره بإطلاق إبراهيم في النار، فجاء جبريل - عليه السلام - ووقف عند رأس إبراهيم - عليه السلام - وقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟

فقال إبراهيم - عليه السلام -: أما إليك فلا.. وأما إلى ربي فحسبي الله ونعم الوكيل.



قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم

وانطلق المنجنيق ليلقى إبراهيم - عليه السلام - فى حفرة النار.

ووقع إبراهيم - عليه السلام - فى النار .. وفى تلك اللحظة كان خازن المطر يقول: متى يأمرنى الله بأن أرسل المطر ليطفئ تلك النار فكان أمر الله أسرع ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

فقد جاء الأمر من الله - عز وجل - لتلك النار ألا تحرق خليله إبراهيم وأن تكون عليه بردًا وسلامًا.

فأطاعت النار أمر ربها فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم - عليه السلام - فأحرقت القيود فقط .. وجلس إبراهيم - عليه السلام - فى وسط النار وكأنه يجلس فى حديقة تُطل على مياه النيل.

لقد كان قلبه مشغولاً بالله فكان فى وسط النار يحمد

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٦٩).

الله ويُسبحه ولذلك لم يشعر بأي خوف أو رهبة لأنه على يقين من أن الله سينصره.

* وظلت النار مشتعلة لفترة طويلة حتى ظن الناس أنها لن تنطفئ أبدًا فلما انطفأت النار كانت المفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر فى انتظارهم... فها هو إبراهيم - عليه السلام - يخرج من الحفرة سليمًا لم يُصبه أى مكروه فقد خرج من النار ووجهه يتلألأ من النور.. وهم قد اسودَّت وجوههم من دخان الحريق.

ثيابه لم تحترق.. وثيابهم احترق نصفها لتساقط الأخشاب الملتهبة عليها، فنصره الله عليهم.. وأخزاهم فى الدنيا والآخرة.

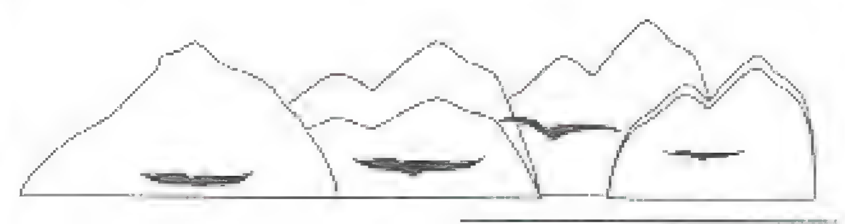
قصة إحياء الطير

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ

سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ذكروا لسؤال إبراهيم - عليه السلام-، أسبابًا منها أنه لما قال للنمرود: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[2] أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة، فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3].

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[4] أي: أوثقهن واذبحهن وقطعهن. فلما أوثقهن ذبحهن، ثم جعل على كل جبل منهن جزءًا، بعد أن قطعهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن. وأخذ رؤوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل



(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).
(٣)، (٤) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).

ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته، وأتينه يمشين سعيًا، ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم - عليه السلام- فإذا قدَّم له غير رأسه أباه، فإذا قدم إليه رأسه تركَّب مع بقية جسده بحول الله وقوته. ولهذا قال: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء وما شاء كان بلا ممانع، لأنه القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره[2].

قصة الذبيح

شَبَّ إسماعيل - عليه السلام - وصار يسعى في مصالحه كأبيه إبراهيم - عليهما السلام - وسُرَّ إبراهيم بإسماعيل الذي يرافقه الآن في الحياة، . . . ها هو ذا

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).
(٢) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٥ ، ٢٢٦).

يأنس بابنه الوحيد إسماعيل.. لقد بلغ من العمر بضعة عشر عامًا.

* وذات يوم نام إبراهيم - عليه السلام - فرأى في المنام أنه يذبح إسماعيل .. و«رؤيا الأنبياء وحي»[1].

* أدرك إبراهيم - عليه السلام - أنها إشارة من ربه للتضحية .. فماذا؟ إنه لا يتردد .. ولا يخطر له إلا خاطر الإيمان والتسليم..

* لم يسأل: لماذا يأمرني ربي بذبح ابني الوحيد؟! ولم تراوده الظنون .. لقد تغلب - بفضل الله - على جميع الوساوس.

* عرض إبراهيم رؤياه على إسماعيل .... ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[2].

* إن إبراهيم - عليه السلام - عرض على ابنه أمر الله ليأخذ ذلك طاعة وإسلامًا لينال أجر الطاعة .. وليسلم هو الآخر، ويتذوق حلاوة التسليم[3].

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٨٥٩).

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٠٢).

(٣) نساء الأنبياء / أ. احمد خليل جمعة (ص: ٢٥٠).

ستجدني إن شاء الله من الصابرين

فماذا يكون من أمر الغلام، الذى يُعرَض عليه الذبح، تصديقًا لرؤيا رآها أبوه؟ .. إنه يرتقى إلى الأفق الذى ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

إنه يتلقى الأمر لا فى طاعة واستسلام فحسب. ولكن فى رضى كذلك وفى يقين.

* وذهب إبراهيم - عليه السلام - وأحضر سكينًا لذبح ولده الوحيد .. وفى مشهد عجيب يصور لنا صبر الخليل - عليه السلام - ورضاه بقضاء الله ألقى ابنه على وجهه بكل رحمة من أجل أن يذبحه وينفذ أمر الله - جل وعلا - لكن دون أن يرى وجهه فتأخذه الشفقة عليه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾[2] أى: استسلما لأمر الله وعزما على ذلك ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[3] أى: ألقاه على وجهه .. وبدأ

---

(١) سورة الصافات: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة الصافات: الآية: (١٠٣).
(٣) سورة الصافات: الآية: (١٠٣).

إبراهيم يمر السكين على حلق إسماعيل فلم تقطع شيئاً .. وإذا بالحق - جل وعلا - يناديه: ﴿ يا إبراهيم (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

كان الابتلاء قد تم، والامتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت، وغاياته قد تحققت .. ولم يعد إلا الألم البدني، وإلا الدم المسفوح، والجسد الذبيح، والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء، ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء.

فعند ذلك نودي من قبل الله عز وجل: ﴿ أن يا إبراهيم (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾[2] أي: قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك إلى أمر ربك.

* ومن أجل ذلك فلقد فدى الله سيدنا إسماعيل - عليه السلام - بكبش كبير رعى في الجنة أربعين سنة .. فأخذه إبراهيم - عليه السلام - وذبحه بدلاً من ولده.

---

(١)، (٢) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤، ١٠٥).

وصار هذا اليوم عيداً للمسلمين يذبحون فيه الذبائح قدوة بخليل الله إبراهيم - عليه السلام -.

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

معجزة لوط (عليه السلام)

* كان لوط - عليه السلام - معاصراً لإبراهيم - عليه السلام- وهو ابن أخيه وكان إبراهيم - عليه السلام - يحب لوطًا حبًا شديداً.

* آمن لوط بعمه إبراهيم - عليهما السلام - واهتدى بهديه وسار على دربه، كما ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

خرج لوط - عليه السلام - من أرض بابل في العراق

(1) سورة الصافات: الآيات: (107، 109).
(2) سورة العنكبوت: الآية: (26).

مع عمه إبراهيم تابعًا له على دينه مهاجرًا معه إلى الشام.. ثم مضوا إلى مصر .. ثم عادوا إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين، ونزل لوط الأردن.

حقًّا .. إنهم قوم سوء

واستقر لوط - عليه السلام - بمدينة (سدوم)، وقد كان أهلُها ذوي أخلاق فاسدة، ونوايا سيئة، لا يتعففون عن معصية، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا من أفجر الناس، وأقبحهم سيرة، وأخبثهم سريرة: يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويتربصون لكل سارٍ، فيجتمعون عليه من كل حدب وصوب، ويسلبونه ما حمل، ثم يتركونه يندب حظه، ويبكي ضياع ماله، لا يردهم عن ذلك دين، ولا يصدهم حياء، ولا يستمعون لنصيحة من عاقل.

إنهم أُناس يتطهرون!!

لقد دعاهم لوط - عليه السلام - إلى عبادة الله، ونهاهم عن تعاطي الفواحش، وإتيان الذكور وقطع

السبيل.. ولكن المفاجأة كانت كبيرة.. لم يستجيبوا لدعوة الحق، ولم يؤمنوا بدعوة لوط، بل لم يؤمن منهم رجل واحد.. ولم يتركوا ما نُهوا عنه.. بل استمروا على حالهم، وغرقوا في غيّهم وضلالهم.. وأصروا وامتنعوا عن قبول أي كلام.. وتابعوا المسير في طريق المعاصي.. وأعرضوا عن لوطٍ وعن دعوته.

لم تؤمن به زوجته، رغم ذلك لم ييأس سيدنا لوط - عليه السلام -، كان يدعو قومه دون ملل سنواتٍ طويلة.

وها هم يستعجلون العذاب

وبعد أن بذل نبي الله لوط - عليه السلام - كل ما يستطيع أن يبذله من وقته وجهده لإخراج هؤلاء المجرمين من ظُلمات الشرك والكُفران إلى أنوار التوحيد والإيمان.. وإذا بهم قد طُبع على قلوبهم فلم يقبلوا أي سبب من أسباب الهداية فقد عميت أبصارهم عن رؤية الحق وعميت قلوبهم عن قبول الهدى.

فلما رأى لوط - عليه السلام - منهم ميلاً عن طاعته

خوَّفهم بأس الله وعذابه، فلم يأبهوا لتحذيره، واستخفوا بوعيده، فألحَّ عليهم بالعظات، وأنذرهم سوء العاقبة، ولكنهم لم يُقلعوا عما كانوا فيه، بل ازدادوا تعلُّقًا به، ورغبة فيه، وتحدَّوه أن يأتيهم بالعذاب، ويُنزل عليهم ما يستحقون من عقاب.

* قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

رب انصرني على القوم المفسدين

سأل لُوط ربه أن ينصره على هؤلاء القوم المفسدين ويُوقع بهم العذاب الأليم، وطلب منه أن يجزيهم على كفرهم وعنادهم، ويعاقبهم على بغيهم وفجورهم، فَهُمُ الداءُ الوبيل الذي يُخاف انتشاره، والعضو المريض الذي لا بد من استئصاله؛ ألم يعيثوا في الأرض فسادًا؟ ألم يصدوا عن سبيل الله، ويصمُّوا آذانهم عن طريق الخير، ويتنكَّبوا سُبل الهداية؟!

استجاب الله دعاءه، وحقق سؤاله، وبعث ملائكته

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٢٩).

إلى أهل هذه القرية الظالم أهلها، ليُنزلوا بهم ما يستحقون من عقاب.

التفتت الملائكة إلى لوط - عليه السلام - وأوصوه أن يصحب أهله أثناء الليل ويخرج، وسيسمعون أصواتًا مروعة تزلزل الجبال، لا يلتفت منهم أحد، كي لا يصيبه ما يصيب القوم، سبحان الملك الجبار سبحانه، أي عذاب هذا؟، هو عذاب من نوع غريب!! يكفي لوقوعه بالمرء مجرد النظر إليه، أفهموه أن امرأته كانت من الغابرين، امرأته كافرة مثلهم وستلتفت خلفها فيصيبها ما أصابهم.

اخرج يا لوط فقد جاء أمر ربك، سأل لوط الملائكة: أيُنزل الله العذاب بهم الآن،... أنبأوه أن موعدهم مع العذاب هو الصبح: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾[1]؟!

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[2][3].

---

(١)، (٢) سورة هود: الآية: (٨١).

(٣) ابن الإسلام (ص: ١١٣).

اقتلع جبريل - عليه السلام -، بطرف جناحه مُدنهم السبع من قرارها البعيد، رفعها جميعًا إلى عنان السماء حتى سمعت الملائكة في السماء أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، ثم قَلَب المدن السبع وهوى بها في الأرض، أثناء السقوط كانت السماء تمطرهم بحجارة من الجحيم، حجارة صلبة قوية يتبع بعضها بعضًا، ومُعلمة بأسمائهم، كل واحد منهم يصيبه حجره الخاص به، نزل عليه خصيصًا من السماء فيهلكه فورًا، ومقدرة عليهم، استمر الجحيم يُمطرهم، وانتهى قوم لوط تمامًا، لم يعد هناك أحد، نُكست المدن على رؤوسها، وغارت في الأرض، حتى انفجر الماء من الأرض، هلك قوم لوط ومُحيت مدنهم.

كان لوط - عليه السلام - يسمع أصواتًا مُروعة، وكان الهواء خلفه يتمزق، وكان يحاذر أن يلتفت خلفه[1].

قال العلماء: إن مكان المدن السبع، بحيرة غريبة، ماؤها أُجاج (مالح)، وكثافة الماء أعظم من كثافة مياه

---

(1) ابن الإسلام (ص: ١١٤).

البحر المالحة، وفي هذه البحيرة صخور معدنية ذائبة، توحي بأنها الحجارة التي ضُرب بها قوم لوط كانت شُهبًا مشتعلة، ويقال: إن البحيرة الحالية التي نعرفها باسم «البحر الميت»، هي مدن قوم لوط السابقة.

* وستبقى بحيرة قوم لوط وآثار ديارهم عبرة للظالمين حيثما كانوا.

قميص يوسف (عليه السلام)

حبايبي الحلوين:

نحن جميعًا نعرف قصة نبي الله يوسف - عليه السلام -.. وكيف أن إخوته حقدوا عليه لحب أبيه له فتآمروا عليه حتى أقنعوا أباه يعقوب أن يتركه يذهب معهم ليلعب ويقضي يومًا جميلاً معهم.

فما كان منهم إلا أن ألقوه في الجُب (البئر)... ثم

باعوه بعد ذلـك بثمن قليل لتلك القافلة التى مرت بـالبئر ووجدوه فيها.

وذهبوا به إلـى أرض مصر وباعـوه لعزيز مـصر الذى احبه وقربه إليه.

* ثم تعرض يوسف - عليه السلام - لمحنة امرأة العزيز التى أرادت إغواءه لفعل الفاحشة فأبى أن يعصى الله - عز وجل - .. فكان مصيره السجن لأنه رفض فعل الفاحشة.

* ومـرت الأحـداث سريعـة بعـد ذلك إلى أن خـرج يوسف - عليه السلام - من السجن وأنقذ الشعوب العربية كلها من المجاعة التى حلَّت بهم بسبب القحط والجفاف.

وجاء إخوة يوسف

ودارت الأيام ومـرت سنوات الرخاء السـبع التى أخبـر عنها يوسف - عليه السـلام - وجاءت سنوات المجاعة .. وكان يوسف - عليه السلام - هو الذى يُشرف على إطعام شعب مصر بل وكل شعوب المنطقة العربية من حولهم.

* وجـاء الناس إلى يوسف من سائر البـلاد ليأخـذوا

طعامًا لأهليهم وأقاربهم وكان من جملة من جاء إخوة يوسف - عليه السلام -.

فلقد وصلت المجاعة إلى أرض فلسطين حيث يعيش يعقوب - عليه السلام - وأبناؤه.

* وكان يوسف - عليه السلام - يعطى كل فرد حمل بعير حتى لا يكون هناك أى احتكار للطعام وبذلك يستطيع أن يوفر الغذاء الكافى لكل فرد فى الوطن العربى الكبير.

* ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[1].

لقد عرف يوسف - عليه السلام - إخوته على الفور .. ولكنهم لم يعرفوه وذلك لأنهم لما ألقوه فى البئر كان غلامًا صغيرًا ولذلك فلقد تغيرت ملامحه أما هم فقد كانوا كبارًا فلم تتغير ملامحهم إلا قليلاً ولذلك عرفهم.

وأيضًا فإنهم لا يتخيلون أبدًا أن عزيز مصر هذا الذى يُطعم الشرق الأوسط كله هو أخوهم يوسف الذى ألقوه فى الجُب.

* لقد جاءوا إلى يوسف -عليه السلام- يطلبون الطعام

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٥٨)

بعدما وصلت المجاعة والقحط إلى أرض فلسطين..

* فأعطاهم يوسف - عليه السلام - كيلهم وأكرمهم... ومرت الأيام وجاءت اللحظة الحاسمة التي عرف فيها إخوة يوسف أن عزيز مصر هو يوسف الذي ألقوه في البئر من سنوات طويلة فندموا على ذلك أشد الندم وبخاصة أنهم كانوا سببًا في حرمان أبيهم يعقوب من رؤية يوسف حتى ذهب بصره من البكاء عليه.

وهنا قال لهم يوسف - عليه السلام -: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

ذُكر أن يوسف لما عرَّف نفسه إخوته سألهم عن أبيهم فقالوا: ذهب بصره من الحزن فعند ذلك أعطاهم قميصه[2].

ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه، وهو الذي يلي جسده فيضعوه على عيني أبيه، فإنه يرجع بصره بعد ما كان قد ذهب، بإذن الله، وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات.

---
(١) سورة يوسف: الآية: (٩٣).
(٢) الطبري (١٣ / ٥٧).

ثم أمرهم أن يأتوا بأهلهم أجمعين إلى ديار مصر، إلى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفرقة، على أكمل الوجوه وأعلى الأمور[1].

إنى لأجد ريح يوسف

وأخذت العير تشق طريقها من مصر إلى أرض كنعان حيث يعقوب - عليه السلام - الذى ابتُلى ابتلاءً شديدًا فكان صابرًا على البلاء راضيًا عن رب الأرض والسماء - جل وعلا- .. وبينما هو فى تلك الهموم والأحزان وإذا به فجأة قد هدأت نفسه وانشرح صدره وجفَّت دموعه، ودخل روح على قلبه! ما هذا الشعور الغريب، والإحساس الوافد؟ إنه الآن ليشعر بانشراح فى أعماق نفسه.

أحسَّ يعقوب - عليه السلام - بهذا، فصاح بملء قلبه وجوارحه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[2].

أى: قال يعقوب لمن حضر من قرابته إنى لأشم رائحة يوسف. لولا أنكم تقولون فى أنفسكم أنى أُخرف لصدَّقتم ما أقول.

(1) قصص الأنبياء (ص: ٢٩٦).
(2) سورة يوسف: الآية: (٩٤).

وهكذا الشوق يجعل الإنسان يشم رائحة الأحباب من بعيد.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[1] أي: قال حفدته ومَن عنده: والله إنك لفي خطأ وذهاب عن طريق الصواب قديم، بإفراطك في محبة يوسف، ولهجك بذكره، ورجائك للقائه... وإنما قالوا ذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات... ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾[2] أي: فلما جاء المبشر بالخبر السار... كان البشير أخاه يهوذا الذي حمل قميص الدم، فقال: أفرحه كما أحزنته[3]: ﴿أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾[4] أي: طرح البشير القميص على وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾[5] أي: عاد بصيراً لما حدث له من السرور والانتعاش ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[6] أي: قال يعقوب لأبنائه: ألم أخبركم بأني أعلم ما لا تعلمونه من حياة يوسف وأن الله سيرده عليَّ لتتحقق الرؤيا؟[7].

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٩٥).
(٢) سورة يوسف: الآية: (٩٦).
(٣) الطبري (١٣/٦٢).
(٤) سورة يوسف: الآية: (٩٦).
(٥)، (٦) سورة يوسف: الآية: (٩٦).
(٧) الرازي (١٨/٩-٢٠).

معجزة أيوب (عليه السلام)

كان نبي اللـه أيوب - عليه السلام - رجـلاً كثير المال آتاه الله من كـل أنواع النعم وكـان له من الأهل والأولاد الكثيـر والكثير فابتُلي ابتـلاءً شديدًا فـمات أولاده وضاع ماله.

* وابتُلي في جسـده بأنواع من البـلاء، ولم يبقَ منه عضـو سليم سوى قلبـه ولسانه يذكـر الله - عز وجل - بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكرٌ لله عز وجل في ليله ونهاره، وصُبحه ومسائه.

وطال مرضـه وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحـد يحنو عليه سوى زوجـته، كانت ترعى له حقـه، وتعرف قديم إحسانه إليهـا، وشفقته عليها، فكانت تـردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته.

وضعف حالها، وقلَّ مالهـا، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه، (رضي اللـه عنها وأرضاها) وهي صابرة

معه على ما حلَّ بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة، والخدمة والحرمة.

ولم يزد هذا أيوب - عليه السلام - إلا صبرًا واحتسابًا وحمدًا وشكرًا حتى إن المثل لَيُضرب بصبره - عليه السلام-، ويُضرب أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا[1].

نعم العبد إنه أواب

وعلى الرغم من هذا البلاء الشديد الذي تعرض له نبي الله أيوب - عليه السلام - إلا أن الله وجد قلبه راضيًا وصابرًا لم يتسخط لحظة واحدة فوصفه الله - عز وجل - بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2].

* * *

(١) قصص الأنبياء / للحافظ ابن كثير (ص: ٢٥٧ ، ٢٥٨).

(٢) سورة ص، الآية: (٤٤).

وكان الشفاء بإذن الله (جل وعلا)

هنالك توجه إلى ربه بالدعاء، طالبًا منه كشف البلاء ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾[1]، ﴿ أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾[2].

واستجاب الله دعاءه، وكشف عنه بلاءه، فالله على كل شيء قدير، وإذا شاء شيئًا كان لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[3].

* جاء الفرج الإلهي .. وجاءت الوصفة الطبية الربانية لأيوب؛ .. أما صفة هذه الوصفة الربانية فموجودة في القرآن الكريم والذكر الحكيم في قوله عز وجل: ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾[4].

* كان الدواء كما لاحظنا بسيطًا، هينًا لينًا .. أمر الله أيوب أن يضرب برجله الأرض .. امتثل أيوب أمر ربه، ومسَّ الأرض .. فنبع منها الماء نقيًا عذبًا فُراتًا سائغًا،

---

(1) سورة الأنبياء: الآية: (٨٣).

(2) سورة ص: الآية: (٤١).

(3) صحيح القصص النبوي (ص: ١٦٠) د. عمر الأشقر.

(4) سورة ص: الآية: (٤٢).

فشرب منه فبرئ ما كان في باطنه من دقيق السقم وجليله، واغتسل فبرئ من ظاهره أتم براءة، فما كان يرسل الماء على عضو إلا ويعود في الحين أحسن ما كان قبل بإذن الله تعالى.

وبدأت الصحة تدب في أيوب.. بدأ السقم يزول فورًا.. تمشّى البُرء في مفاصله وأوصاله.. طُردت الأسقام من بدنه.. لم يعد يجد ألمًا ظاهرًا، ولا ألمًا داخليًا.

الله أكبر ما أعظم هذا الدواء![1].

* وكان من عادته أنه إذا خرج ليقضي حاجته جاءته زوجته، فأمسكت بيده لضعف بدنه، فإذا أوصلته إلى المكان المقصود، تركته حتى يقضي حاجته، ثم عادت إليه تُمسك به، تعينه على الرجوع إلى مكان إقامته، وقد أبطأ عليها في ذلك اليوم الذي دعا فيه ربه، فقد أوحى الله إليه أن يضرب برجله الضعيفة الأرض، فانبثق الماء من

---

(١) نساء الأنبياء (ص: ١٥٥) أ. أحمد خليل جمعة

موضع ضربته، فأمره الله أن يشرب من ذلك الماء، ويغتسل منه، فأذهب الماء أمراضه التي في ظاهر جسده وباطنه، وعادت إليه الحيوية والنشاط في الحال، ورجعت له صحته وعافيته كأن لم يكن به مرض.

وعاد إلى زوجته يتدفق حيوية ونشاطًا، كحاله قبل أن يداهمه المرض، فلما رأته لم تعرفه مع أنها رأت فيه شبه الزوج أيام كان صحيحًا معافى، وسألته عن زوجها النبي المبتلى، وذكرت له ما لاحظته من شبهه به أيام كان سويًا صحيحًا، ولم تكن تتوقع أن يصلح حاله، ويشفى من مرضه في هذه المدة الوجيزة التي غابها عنها، وكم كان فرحها وسرورها عظيمًا عندما رأت نعمة الله عليه في ردِّ عافيته وصحته إليه[1].

* * *

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ١٦٠).

وآتيناه أهله ومثلهم معهم

* وكما ردَّ الله عليه عافيته وصحته، رَدَّ عليه ضِعفي المال الذي فقده، ورزَقه ضِعفي ما كان عنده من الأولاد، فقد أرسل الله سحابتين، لا تحملان مطرًا، بل ذهبًا وفضة، وكان لأيوب بيدران أحدهما للقمح، والآخر للشعير، فأفرغت إحدى السحابتين الذهب في بيدر القمح، وأفرغت الأخرى الفضة في بيدر الشعير[1].

* * *

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ١٦١).

يونس (عليه السلام) في بطن الحوت

كان نبي الله يونس - عليه السلام - يعيش في قرية اسمها (نينوى) فأرسله الله إليهم ليدعوهم إلى الإيمان والتوحيد فدعاهم فلم يستجيبوا له.

فلما يئس منهم خرج من تلك القرية ولم ينتظر الإذن من الله - جل وعلا - . . . ووعدهم بنزول العذاب عليهم بعد ثلاثة أيام. . . فلما خرج وتحقق أهل القرية من نزول العذاب قذف الله في قلوبهم التوبة فتابوا إلى الله وتضرعوا إليه حتى رفع الله عنهم العذاب.

ومضت الأيام الثلاثة التي وعد بها يونس قومه، فجاء ينظر موعود الله فيهم، ولعله كان معتزلاً لهم، لم يدر بما فعلوه من التوبة والإنابة، فوجدهم لما أطلَّ عليهم سالمين،

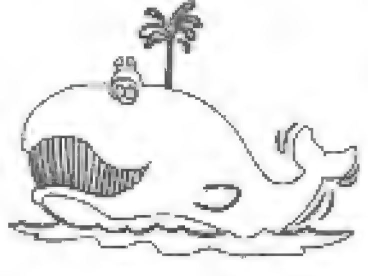
فـأغضبـه ذلك، وكان جـزاء الكاذب عندهم أن يُقـتل، فخرج هاربًا من قومه، خشية القتل.

وها هو (عليه السلام)
فى بطن الحوت

والمقصود أنه - عليه السلام - لما ذهب مـغاضبًا بسبب قومـه، ركب سفـينة فى البحـر فلجَّت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون.

قالوا: فاشـتوروا فيمـا بينهم على أن يقترعـوا، فمن وقعت عليه القُرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه.

فلما اقـترعوا وقعت القُـرعة على نبى الله يونس فلم يسمحـوا به، فأعادوها ثانية فـوقعت عليه أيضًا، فـشمَّر ليخلع ثيابه، ويُلقى بنفـسه فأبوا عليـه ذلك، ثم أعـادوا القرعـة ثالثـة فـوقعت عليـه أيضًـا، لما يريده الله به من الأمر العظيم.



قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[1] وذلك أنه لما وقعت عليه القُرعة أُلقى فى البحر، وبعث الله عز وجل حوتًا عظيمًا من البحر الأخضر فالتقمه وأمره الله تعالى ألا يأكل له لحمًا ولا يُهشم له عظمًا فليس لك برزق. فأخذه فطاف به البحار كلها.

قالوا: ولما استقر فى جوف الحوت حَسِب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حى فخرَّ لله ساجدًا وقال: يا رب .. اتخذت لك مسجدًا فى موضع لم يعبدك أحد فى مثله[2].

* لقد فوجئ يونس - عليه السلام - أنه فى ظلمات ثلاث: ظُلمة الليل وظلمة قاع البحر وظلمة بطن الحوت.. وهنا أحس بذنبه وشعر أنه أخطأ عندما خرج من هذه القرية بغير أمرٍ من الله -جل وعلا- فأخذ يصلى

---

(١) سورة الصافات، الآيات: (١٣٩، ١٤٢).

(٢) قصص الأنبياء (ص: ٣٢٩).

ويُسبح ويستغفر الله -جل وعلا- فى بطن الحوت.

كان من الممكن أن يظل فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، ولكن شيئًا واحدًا كان سبب نجاته من هذا العذاب الأليم، هذا الشيء هو التسبيح والذكر والدعاء.

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1].

الملائكة تشفع له عند الله (جل وعلا)

إن يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت، فقال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة تحُفّ بالعرش، قالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة... فقال الله تعالى: أما تعرفون ذلك؟! قالوا: يا رب ومن هو؟ قال -عز وجل-: هذا عبدى يونس... قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يُرفع له عمل متقبل، ودعوة مستجابة.

(١) سورة الصافات: الآيتان: (١٤٣، ١٤٤).

قالوا: يا رب أوَ لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتُنجيه من البلاء، قال: بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء[1].

* خرج يونس - عليه السلام - من بطن الحوت وهو في غاية المرض والتعب وقد ضعف بدنه وتآكل جلده..

قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[2].

* وأنبت الله له على شاطئ البحر شجرة من يقطين (القرع) وهو نبات له فوائد عظيمة للجسم وأوراقه عريضة فكان يونس - عليه السلام - يأكل منها ويحتمي بظل أوراقها.

وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

فلما استكمل عافيته ردَّه الله إلى قومه الذين تركهم مغاضباً. وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب بعد

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير (4/ 18، 19).

(2) سورة الصافات: الآية: (145).

(3) سورة الصافات: الآيتان: (147، 148).

خروجه، فـآمنوا، واستغفـروا وطلبوا العفو من اللـه فسمع لهم ولم ينزل بهم عذاب المكذبين: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون. وقد آمنوا أجمعون.

معجزات نبي الله موسى (عليه السلام)

ولقد أعطى الله نبيـه موسى - عليه السـلام - الكثير والكثيـر من الآيات والمعجزات... وأعـظمهن تسع آيات كمـا قال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ﴾[1] وهي: العصـا واليد والطوفان والجـراد والقُمَّل والضـفادع والدم وانفلاق البحر والسنين.

* وتعالوا بنا لنرى بعض تلك الآيات.

قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾(١).

* لقد قدَّر الله -جل وعلا- أن يشدد على آل فرعون البلاء لأنهم يستحقون ذلك .. ولكي يصرفهم الله عن تدبير المكائد لموسى - عليه السلام - ومن معه من المؤمنين الذين عذبهم فرعون وآذاهم أشد الإيذاء.

فسلط الله على فرعون وأتباعه من الفراعنة، أعوام الجدب والقحط .. فلقد أجدبت مياه النيل وأجدبت الأرض من حوله ونقصت الثمار وجاع الناس.

لكن العجيب في هذا الأمر أن آل فرعون كانوا إذا جاءهم الخصب والثمار الكثيرة قالوا: هذا من حسن حظنا فنحن نستحق ذلك وهذا الذي يليق بنا.

وإذا اشتد القحط والجدب قالوا: هذا من شؤم موسى ومن معه.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٣٠ - ١٣٣)

* فشدد الله عليهم البلاء وسلط عليهم أنواعًا جديدة من البلاء لا تخطر على بالهم أبدًا لعلهم يرجعون إلى الله ويطلقون بني إسرائيل ويرسلونهم مع موسى - عليه السلام - .

* قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[1].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾[2] كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار.

﴿وَالْجَرَادَ﴾[3] وأما الجراد فمعروف مشهور وهكذا فإن الجراد جند الله أرسله الله على فرعون وقومه، حتى إنه كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، وأكل الشجر والثمر والزروع.

﴿وَالْقُمَّلَ﴾ وقد أرسل الله عليهم القمل.

وأما القُمل فهو السوس.

فدخل معهم البيوت والفُرش، فلم يقر لهم قرار، ولم

---

(١)، (٢)، (٣) سورة الأعراف: الآية: (١٣٣).

يُمكنهم معه الغمض ولا العيش.

﴿والضَفادع﴾ ثم أرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبًا ولا طعامًا إلا وجدوا فيه الضفادع قد غلبت عليه حتى إن الرجل إذا هَمَّ أن يتكلم وثب الضفدع في فيه - في فمه - .

﴿والدَّمَ﴾[1] ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء إلا عاد دمًا.

﴿آيات مُفَصَّلات﴾ أي: كل هذه الآيات الظاهرات أرسلها الله عليهم، ليؤمنوا فما آمنوا .. هذا كله ولم ينل بني إسرائيل من ذلك شيء بالكلية.

❋ ❋ ❋

---

(1) فتلك هي التسع آيات التي ذكرها الله (جل وعلا) في سورة الإسراء: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ [الإسراء: ١٠١] هي: العصا واليد والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

معجزة اليد

ثم أمره الله تعالى بإدخال يده في جيبه، ثم أمره بنزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضًا من غير سوء، أي: من غير برص ولا بهق، ولهذا قال: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[1] قيل معناه: إذا خفت فضع يدك على فؤادك يذهب خوفك.

معجزة العصا

* أما عن آية العصا فلقد أخبر الله عنها بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[2].

* قال الله له: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾[3] فألقى موسى عصاه بسرعة وخوف وإذا به يرى العصا وقد تحولت إلى حية

---

(١) سورة القصص: الآية: (٣٢)

(٢) سورة طه: الآيات: (١٧-١٨).

(٣) سورة طه: الآية: (١٩).

عظيمة ضخمة لها أنياب وتتحرك بسرعة كأنها جان . .

فما كان من موسى إلا أن ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾[1] هاربًا منها وأخذ يجرى بسرعة ولم يلتفت خلفه فناداه ربه قائلاً له : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[2] ، ﴿ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[3] .

* ولما جمع فرعون السحرة لمواجهة موسى - عليه السلام - وألقى السحرة عصيهم وحبالهم فسحروا أعين الناس حتى رأوا تلك العصى والحبال كأنها ثعابين .

* وفي تلك اللحظة يثبته ربه -جل وعلا- ويذكره بأن معه القوة الكبرى .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[4] .

---

(١) ، (٢) سورة القصص : الآية : (٣١)

(٣) سورة النمل : الآية : (١٠) .

(٤) سورة طه : الآيتان : (٦٨ ، ٦٩) .

فألقى موسى عصاه فصارت حية عظيمة ذات قوائم وعنق عظيم وشكل هائل مزعج، بحيث إن الناس انحازوا منها وهربوا سراعًا وتأخروا عن مكانها وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصى، فجعلت تلقفه واحدًا واحدًا في أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها، وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيَّرهم في أمرهم، واطَّلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا بالهم ولا يدخل تحت صناعتهم وأشغالهم، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة، ولا محال ولا خيال، ولا زور ولا بهتان ولا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق، الذي ابتعث موسى - عليه السلام - وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم وخرُّوا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة طه: الآية: (٧٠).

* بل لما خرج فرعون وجنوده ليبطشوا بموسى ومن معه وقطع موسى الطريق حتى وقف أمام البحر، وبدأ جيش فرعون يقترب، وظهرت أعلامه، وامتلأ قوم موسى بالرعب، كان الموقف حرجًا وخطيرًا،... إن البحر أمامهم والعدو وراءهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر، كما أنه ليست أمامهم فرصة واحدة للقتال، إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين، سيذبحهم فرعون عن آخرهم.

صرخت بعض الأصوات من قوم موسى: سيدركنا فرعون ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[1][2].

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[3].

بهذا الجزم والتأكيد واليقين[4].

لم يكن موسى يدرى كيف ستكون النجاة، لكن قلبه

---

(١) سورة الشعراء: الآية: (٦١).

(٢) ابن الإسلام (ص: ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (٦٢).

(٤) الظلال (٥/ ٢٥٩٨).

كان ممتلئا بالثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، فالله هو الذي يوجهه ويرعاه، . . . وفي اللحظة الأخيرة، يجيء الوحي من الله ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾[1] فضربه، فوقعت المعجزة ﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2] وتحقق المستحيل في منطق الناس، لكن الله سبحانه وتعالى إن أراد شيئا قال له: كُن فيكون.

ظهر طريق يابس وسط البحر، . . . الأمواج كالسورين على جنبتي الطريق، وهرع موسى وقومه يسيرون في هذا الطريق الممهد داخل البحر والأمواج من حولهم.

سبحان الملك!! ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

ووصل فرعون إلى البحر، شاهد هذه المعجزة، شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين، وموسى وقومه يسيرون في هذا الطريق اليابس في وسط البحر في أمان تام، ووقف فرعون يتأمل موسى وقومه والأمواج من حولهم والأرض يابسة تحت أقدامهم، ولم يفكر لحظة، أسرع خلفهم يطاردهم، وطمع فرعون في إدراكهم، فأمر

(١)، (٢) سورة الشعراء، الآية: (٦٣).

(٣) سورة الشعراء، الآية: (٦٥).

جيشه بالتقدم، وحين انتهى موسى من عبور البحر، وأوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[1]، وكان الله سبحانه وتعالى قد قدَّر إغراق فرعون وإنهاء أمره، فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر، حتى أمر الله سبحانه وتعالى البحر، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه، وغرق فرعون وجيشه.

قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى (عليه السلام)

جلس النبى ﷺ كعادته مع أصحابه ﷺ ليحكى لهم قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى - عليه السلام -..

فيا تُرى ما هى قصة ذلك الحجر؟

تعالوا بنا لنعرف هذه القصة ولكن بعد أن تصلوا على النبى محمد ﷺ.

---

(١) سورة الدخان: الآية: (٢٤).

* لقد كان فى شريعة بنى إسرائيل أنه يجوز أن يغتسل الرجال عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

ولكن نبى الله موسى - عليه السلام - كان شديد الحياء، فكان يستحى أن يغتسل أمامهم ولذلك كان يغتسل وحده بعيداً عن أعين الناس ولا يُبدى أى شىء من جسده ولا عورته.

ونحن نعلم أن الحياء خُلق كريم من أخلاق الإسلام.

وكان رسولنا محمد ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها.. بل كان يحض المسلمين على الحياء ويقول: «الحياء كله خير»[1].

* وفى يوم من الأيام أشاع بعض الجُهَّال من بنى إسرائيل أن موسى - عليه السلام - لا يغتسل وحده حياءً من الناس.. وإنما يفعل ذلك لوجود عيب فى جسده لا يريد أن يطلع الناس عليه.

فلما علم موسى - عليه السلام - بهذا الكلام تأذّى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) واللفظ له.

وأحسَّ بشيء من الحزن والضيق.

ونحن نعلم أن نبي الله موسى - عليه السلام - له مكانة عظيمة عند الله -جل وعلا- فهو رسول من أولي العزم الخمسة الذين هم أفضل الرسل.. وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات ربي وسلامه عليهم -.

والرسل في أعين الناس ونظرهم يجب أن يكونوا في أبهى صورة من جمال الخَلق والخُلق.

والله - عز وجل - لا يرضى الأذى لرسوله فكان لا بد من تهيئة الأسباب لتبرئة نبي الله موسى - عليه السلام - من تلك الإشاعة.

* وجاءت اللحظة الحاسمة التي برّأ الله فيها موسى - عليه السلام - من تلك الإشاعة.

فقد ذهب بنو إسرائيل يغتسلون كالعادة عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

وذهب موسى - عليه السلام - يغتسل بعيداً عنهم حتى لا يراه أحد.

ووضع ثيابه على الحجر ونزل الماء ليغتسل.

فلما انتهى من اغتساله خرج من الماء ليأخذ ثيابه من على الحجر ليلبسها وإذا بالمفاجآة التي لا تخطر على قلب بشر.

لقد أخذ الحجر ثياب موسى - عليه السلام - وطار وفرَّ بها.

ونحن نعلم يقينًا أن الحجر لا يستطيع أن يتحرك أو يطير لأنه جماد ولكن الله -جل وعلا- جعله يطير بطريقة لا نعلمها وذلك لحكمة جليلة ألا وهى تبرئة موسى - عليه السلام - مما نسبه الناس إليه.

* لم يكن موسى - عليه السلام - يتخيل أبدًا أن يطير الحجر بثيابه فما كان منه إلا أنه ظل يجرى وراء الحجر ليأخذ ثيابه.. وهكذا ظل موسى - عليه السلام - يجرى عُريانًا خلف الحجر.. والحجر يطير بثيابه حتى بلغ موسى - عليه السلام - المكان الذى يجتمع فيه الناس فنظروا إليه فوجدوه سليم الجسد قوى البنية ليس به عيب فى جسده

فزالت تلك الإشاعة الكاذبة التي رماه بها هؤلاء الجهلة .

وهنا توقف الحجر وأخذ موسى - عليه السلام - ثيابه ولبسها ثم أخذ عصاه وأخذ يضرب بها الحجر ضربًا شديدًا بسبب ما فعله معه .

ومع أن نبي الله موسى - عليه السلام - يعلم يقينًا أنه حجر لا يعقل لكنه ضربه لأنه فعل أمرًا لا تفعله الحجارة أبدًا .

والعجيب أن عصا موسى - عليه السلام - رغم أنها كانت من الخشب إلا أنها أثرت في ذلك الحجر وتركت به آثارًا بعدد تلك الضربات التي وقعت عليه من عصا موسى - عليه السلام - .

* وفي هذه القصة يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

"إن موسى كان رجلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برص، وإما أُدْرَة، وإما آفة.

وإن الله أراد أن يُبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[1]"[2].

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٤٠٤).

معجزة يوشع (عليه السلام)

لقد أمر الله نبيه يوشع بن نون - عليه السلام - أن يأخذ جنوده ويذهب بهم لفتح بيت المقدس... خرج يوشع بجيشه متجهاً إلى القرية التي يريد غزوها، فدنا من القرية في عصر ذلك اليوم،... ومعنى ذلك أن فرصته في فتح المدينة ليست قوية، لأن القتال في الليل ليس سهلاً. وقد يكون ذلك اليوم يوم الجمعة، وعليه أن يوقف القتال إذا غربت الشمس، لأن دخول الليل يعني دخول يوم السبت، والقتال مُحرّم على بني إسرائيل في يوم السبت، ومعنى ذلك أنه سيعود عن القرية قبل فتحها، وهذا سيعطي أهل القرية فرصة لتقوية جيشهم، وإصلاح أسوارهم، وإعداد المزيد من

السلاح، فتوجه يوشع إلى الشمس مخاطبًا لها قائلاً: إنك مـأمورة، وأنا مـأمور، ثم دعـا ربه قـائلاً: اللهم احبـسها علينا... واستجاب الله دعـاءه، فأخّر الغـروب حتى تم النصر[1].

• وفي ذلك يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «ما حُبست الشمس على بشرٍ قطّ إلا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ١٢٦)

(٢) صحيح: رواه الخطيب البغدادي وأحمد عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٢).

معجزة داود (عليه السلام)

لقد كان نبي الله داود - عليه السلام - يصنع الدروع وفي ذلك العصر كانت الحروب كثيرة، وكانت الدروع الحديدية التي يصنعها صنّاع الدروع ثقيلة ولا تجعل المحارب حرًا يستطيع أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد، فقام داود - عليه السلام - بصناعة نوعية جديدة من الدروع، درع يتكون من حلقات حديدية تسمح للمحارب بحرية الحركة، وتحمي جسده من السيوف والفؤوس والخناجر، أفضل من الدروع الموجودة أيامها، . . . لقد ألان الله لداود الحديد: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

كانت يده تغوص في الحديد فيقطعه ويُشكله في قطع صغيرة يصلها ببعضها البعض، ليصنعه دروعًا خفيفة

(١) سورة سبأ: الآيتان (١٠، ١١).

غير مرهقة جعلت جيشه ينتصر بفضل الله فى كل المعارك التى خاضها، وكان يصنع الدروع ويبيعها، ليعيش عن ثمنها.

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[1][2].

وكان يستغنى بثمن الدروع التى يصنعها عن الراتب من بيت مال المسلمين... فقيل: إنه كان يبيع الدرع بأربعة آلاف درهم، يتصدق بثلثها ويشترى بثلثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يوميًا إلى أن يعمل غيرها [3].

صاحب الصوت الجميل

وكان داود - عليه السلام - قد أنعم الله عليه بصوت فى غاية الحُسن والجمال فكان إذا قرأ بصوته الجميل فى

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٨٠).

(٢) ابن الإسلام (ص: ٢٤٥).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٥٢٦)

الزبور سمعته الجبال والطيور فتُسبح معه في الليل والنهار .

قال تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾[1] .

﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾[2] .

كان الله تعالى قد وهب داود - عليه الصلاة والسلام - من الصوت الجميل ما لم يُعطه أحدًا بحيث إنه كان إذا ترنَّم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرجِّع بترجيعه ويردده، ويُسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه، كلما سبَّح بكرة وعشيًا.

وقال عبد الله بن عامر: أُعطي داود من حسن الصوت ما لم يُعط أحد قط، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشًا وجوعًا، وحتى إن الأنهار لتقف.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٧٩).
(٢) سورة سبأ: الآية: (١٠).

خفف الله عليه قراءة القرآن

فكان مع جمال صوته الذى وهبه الله إياه .. كان يقرأ الزبور بسرعة لا تخطر على قلب بشر وذلك لأن الله - عز وجل - خففه عليه.

* قال ﷺ: «خُفِّفَ على داود - عليه السلام - القرآن فكان يأمر بدوابه فتُسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده»[1]. - والمقصود بالقرآن هنا: الزبور -.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٤١٧).

معجزات سليمان (عليه السلام)

لقد طلب سليمان - عليه السلام - من الله - جل وعلا- أن يهب له مُلكًا لا يكون لأحد من بعده أبدًا فاستجاب الله له ووهبه مُلكًا لم يُعطه لأحد من بعده.

* ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

فها هو - عليه السلام - يسأل الله - عز وجل - مُلكًا لا يكون لأحدٍ من بعده من البشر وقد أعطاه الله ذلك كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

* **أولاً: معرفة لغة الطيور والحيوانات:**

قال تعالى حاكيًا عنه أنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[2] يعني: أنه - عليه السلام - كان يعرف ما يتخاطب

---

(١) سورة ص: الآية: (٣٥).

(٢) سورة النمل: الآية: (١٦).

به الطيور بلغاتها ويُعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها .

* ثانياً: تسخير الجن لسليمان -عليه السلام-:

ومن بين تلك النعم التي أنعم الله بها على نبيه سليمان - عليه السلام - تسخير الجن . . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾[2] .

أي: منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفانٍ كالجواب، وقدورٍ راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة، التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار، يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة، التي لا توجد إلا فيها. ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾[3] أي: موثوقون في الأغلال والأكبال، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٨٢).
(٢) سورة ص: الآية: (٣٧).
(٣) سورة ص: الآية: (٣٨).

• وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾[1].
أي: سخر له الجن فدانوا له يسخرهم بإذن الله لما يشاء من عمل البنايات.

ثالثاً: تسخير الريح لسليمان -عليه السلام-:

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه.

لما عقر سليمان بن داود - عليهما السلام - الخيل التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح، يسير على متنها حيث أراد[2].

قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.. ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ.. ﴾[4].

لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوَّضه الله منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها

(١) سورة سبأ: الآية: (١٢).
(٢) روضة المحبين (ص: ٤٤٣)
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٨١).
(٤) سورة سبأ: الآية: (١٢).

﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[1] أي: حيث أراد من أي البلاد، كان له بساط مُرَكَّب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجن، وغير ذلك من الحيوانات والطيور فإذا أراد سفراً أو مستنزهاً أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به، فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعته في أي مكان شاء، بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه بإصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك إلى آخر النهار، ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس[2].

رابعاً: إسالة النحاس لسليمان - عليه السلام -:

ومن بين النعم التي أنعم الله - عز وجل - بها على نبيه سليمان - عليه السلام - تلك النعمة التي ذكرها في

---

(1) سورة ص: الآية (٣٦).
(2) قصص الأنبياء ص (٤٤٢).

قوله: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾[1].

أي: وأذبنا له النحاس حتى كان يجرى كأنه عين ماء متدفقة من الأرض.

قال المفسرون: أجرى الله لسليمان النحاس، كما ألان لداود الحديد، . . . آية باهرة، ومعجزة ظاهرة.

خامسا: أعطاه جيشا من الجن والإنس والطير:

لقد أخبر الحق -جل وعلا- عن المُلك العظيم الذى وهبه لنبيه الكريم سليمان - عليه السلام - فقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[2].

أى: جُمعت له جيوشه وعساكره وأُحضرت له فى مسيرة كبيرة فيها طوائف الجن والإنس والطير، يتقدمهم سليمان فى أُبهة وعظمة كبيرة ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أى: فهم يُكَفُّون ويُمنعون عن التقدم بين يديه[3].

سادسا: آتاه الله العلم والحكمة:

فلقد آتاه الله العلم والحكمة فكان فى غاية الفطنة والذكاء.

---

(١) سورة سبأ، الآية: (١٢).

(٢) سورة النمل: الآية: (١٧).

(٣) الطبري (١٩/ [illegible]).

معجزة زكريا (عليه السلام)

لما كفل نبي الله زكريا - عليه السلام - مريم ابنة عمران.

وكان لمريم - عليها السلام - محراب خاص تتعبد فيه، وكانت لا تغادر مكانها إلا قليلاً، تقضى وقتها كله فى عبادة وصلاة، فقد وصلت الصلاة بالمناجاة، والذكر بالشكر والحمد لله عندما تقوم من الليل وأطراف النهار.

وباعتبار كفالة زكريا لها، كان يزورها فى المحراب، وهذا شيء طبيعى، لكن شيئًا ما كان يلفت انتباهه ويحرك وجدانه، ويجعله أمام شيء مدهش، إذ كان يجد عند مريم رزقًا من الله، ... والعجيب فى ذلك أن زكريا كان يجد عند مريم فاكهة الشتاء فى الصيف، ويجد فاكهة الصيف فى الشتاء[1]، .. حقًا إنه لشيء مدهش.

---

(١) ابن كثير (١/٢٦٩).

* لم ير ذلك المنظر مرة واحدة، بل تكرر ذلك مرات ومرات، وتكرر المشهد أمام زكريا، عندئذ سألها: من أين يأتيك هذا الرزق؟ وتجيب مريم: من عند الله.

وهذا ما ذكرته الآية الكريمة في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(1)(2).

في هذه اللحظة تحركت في نفس زكريا - عليه السلام - تلك الرغبة القوية في أن يرزقه الله الذرية الصالحة .. وذلك لما رأى تلك الكرامات التي أكرم الله بها مريم - عليها السلام- .

في هذا الوقت كان زكريا - عليه السلام - شيخًا كبيرًا قد وهن عظمه وضعف وشاب شعره وأحس أنه قد اقترب أجله وكانت زوجته وهي خالة مريم عجوزًا مثله لم تلد قبل ذلك لأنها كانت عقيمًا .. ولكن الله إذا أراد شيئًا

---

(1) سورة آل عمران: الآية: (37).
(2) نساء الأنبياء (ص: 186، 187).

فإنما يقول له: كن فيكون.

قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (١).

فكانت الاستجابة الفورية من فاطر السماوات والأرض الذى لا يُعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

* بعد أن بشرت الملائكة زكريا - عليه السلام - بغلام، طلب من الله تعالى أن يجعل له دليلاً وعلامة على وجود الحمل فى بطن زوجه.

* مرة أخرى استجاب الله عز وجل لطلب زكريا .. وصدر الأمر العلوى: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (٢)، إن علامة ذلك أنك يا زكريا لا تستطيع التكلم إلى الناس ثلاثة أيام بلياليهن، وأنت صحيح ليس بك خرس ولا علة، .... اعتقل لسان زكريا من غير مرض ولا علة، وذلك كما ذكر الله عز وجل فى آية آل عمران:

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣٨).

(٢) سورة مريم: الآية: (١٠).

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[1].

* إن زكريا - عليه السلام - مع ذلك لم ينقطع لسانه عن الذكر والتسبيح، وهو دليلٌ على أنه كان في غاية السلامة والقدرة على النطق إلا أنه يُعتقل لسانه عند التكلم مع الناس، وهذه هي العلامة[2].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٤١).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٢/٥١٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٠٧).

معجزات عيسى (عليه السلام)

لقد كان من خصائص نبي الله عيسى - عليه السلام - أنه خُلق بكلمة كُن فكان بإذن الله -جل وعلا- مخلوقًا من أنثى بلا ذكر، كما خُلقت حواء من ذكر بلا أنثى، وكما خُلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له: كن فكان. وكذلك يكون عيسى بالكلمة ونفخ جبريل... ذهب يطعن فطعن في الحجاب كما جاء في الصحيح، ومن خصائصه أنه حي لم يمت، وهو الآن بجسده وروحه في السماء الدنيا، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلئت جورًا وظلمًا، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، ثم يموت ويُدفن بالحجرة النبوية[1].

(1) صحيح معجزات النبي ﷺ / للحافظ ابن كثير (ص: ٤١٢).

عيسى (عليه السلام)
يتكلم وهو طفلٌ رضيع

لما حملت مريم بإذن الله -جل وعلا- ثم بنفخة جبريل - عليه السلام - في جيب درعها فخافت أن يتهمها الناس في عرضها لأنها حملت دون أن تتزوج . . . وامتلأ قلبها همًّا وغمًّا لخوفها من مواجهة الناس بحملها فأنطق الله طفلها عيسى - عليه السلام - ليواسيها .

لقد أنطق الله عيسى - عليه السلام - فنادى أمه وتكلم معها : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[1] .

* لم تصدق مريم ما تراه وما تسمعه . . هل هذا معقول؟ . . طفلي الصغير الذي وُلد منذ دقائق معدودات ينطق ويتكلم!!

[1] سورة مريم: الآيات (٢٤-٢٦).

لقد أنطق الله - عز وجل - طفلها عيسى - عليه السلام - ليكلمها ويطلب منها أن تكف عن حزنها وأن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها التمر والرُّطَب فتأكل وتشبع فإذا أرادت الماء فقد جعل الله تحتها عينًا تجرى فيها المياه الصافية النقية.

ثم قال لها عيسى - عليه السلام -: فإذا رأيت أحد من البشر فقولى له: إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسانًا.

* فرحت مريم فرحًا شديدًا وأحست لأول مرة بالسعادة تملأ قلبها منذ أن حملت بعيسى - عليه السلام - ..

اللحظة الحاسمة

وجاءت اللحظة الحاسمة التى ستعود فيها مريم إلى قومها.

يا ترى ماذا ستصنع؟ ماذا سيقولون لها؟ وهل يصدقون بأن الله هو الذى رزقها بهذا الطفل أم أنهم سيرجمون إليها أبشع التهم ويرمونها بأقبح الكلمات؟!

* عادت مريم قرب العصر وكان السوق الكبير الذي يقع في طريقها إلى المسجد قد امتلأ بالناس الذين فرغوا في هذه الساعة من البيع والشراء وجلسوا يتكلمون.

* وما إن وصلت مريم إلى السوق حتى نظر الناس إليها ولاحظوا أنها تحمل طفلاً وتضمه لصدرها.

فقال أحدهم: أليست هذه مريم العذراء؟ فما هذا الطفل الذي تحمله؟ فجاء إليها أحد الكهنة وسألها: من هذا الطفل الذي تحملينه يا مريم؟

هل هو ابنك؟ وكيف يكون ابنك وأنت لم تتزوجي؟

﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾[1].

وبدأت الاتهامات تسقط عليها من الناس حولها ومع ذلك فهي تقف مرفوعة الرأس واثقة في ربها -جل وعلا- أنه سوف يبرؤها من كل هذه الاتهامات.

فلما ضاق الحال اشتد توكلها على الله -جل وعلا فأشارت بيدها إلى عيسى - عليه السلام -.

---

(1) سورة مريم: الآية: (٢٨).

فتعجب الناس واندهشوا ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾[1] .

وإذا بعيسى - عليه السلام - ينطق وهو طفل رضيع ، ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾[2] .

* ما هذا الذي يحدث؟ . . طفل رضيع يتكلم!!

لقد رأى الناس أمام أعينهم معجزة حقيقية . . طفل جاء بغير أب ثم إنه يتكلم وهو ما زال يرضع .

بعض معجزات عيسى - عليه السلام -

لما كبر سيدنا عيسى - عليه السلام - ونزل عليه الوحي وأعطاه الله الإنجيل وكان قد بلغ من العمر ثلاثين سنة وأظهر الله على يديه المعجزات فكان من بين تلك المعجزات :

---

(١) سورة مريم: الآية: (٢٩).

(٢) سورة مريم: الآيات: (٣٠ - ٣٣).

- ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[1] أي: في أضعف الأحوال وأقواها بكلام واحد.
- ﴿يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[2].
- ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3].

وكذلك كان يفعل، ... يصوِّر من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله.

- ﴿أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾[4] وهو مَن وُلِد أعمى، فيمسح على عينيه أمامهم فيبصر.
- ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾[5] وهو المرض الذى يصيب الجلد فيجعل لونه أبيض، فيمسح على جسمه فيعود سليمًا.
- ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[6] أى: أحيى بعض الموتى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٤٦).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٤٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (٤٩).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (٤٩).
(٥)، (٦) سورة آل عمران: الآية: (٤٩).

لا بقدرتي ولكن بمشيئة الله وقدرته.

* ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ [1] كان يخبر الشخص بما أكل وما ادَّخر في بيته.

* ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ﴾ [2] جاء عيسى - عليه السلام - ليخفف عن بني إسرائيل بإباحة بعض الأمور التي حرمتها التوراة عليهم عقابا لهم.

ذكر خبر المائدة

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ

(1) سورة آل عمران: الآية: (49).
(2) سورة آل عمران: الآية: (50).

منكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾(١) .

* ومضمون ذلك أنه لما آمن الحواريون مع عيسى - عليه السلام - كان التردد لا يزال موجودًا فى نفوسهم .. ومن أجل أن يقطع عليهم هذا التردد أمرهم عيسى - عليه السلام - بأن يصوموا ثلاثين يومًا ليتبين له صدقهم ولكى تطهر نفوسهم .. فاستجابوا له وصاموا ثلاثين يومًا.

فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم، لغنيهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى - عليه السلام - فى ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل.

فلما لم يُقلعوا عن ذلك قام إلى مُصلاه ولبس مِسحًا من شعر وصفَّ بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه

(١) سورة المائدة: الآيات: (١١٢ - ١١٥).

بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يُجابوا إلى ما طلبوا.

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة. فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: «بسم الله خير الرازقين»، فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة.

ويقال: وخلٌّ، ويقال: ورُمَّان وثمار، ولها رائحة عظيمة جداً.

قال الله كوني فكانت.

ثم أمرهم بالأكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزَّمْنَى وكانوا قريبًا من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة

أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك. ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف.

ثم كانت تنزل يومًا بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يومًا بعد يوم. ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء، فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك، فرُفعت بالكلية ومُسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير[1].

لكن الله سبحانه وتعالى حذرهم من الكفر بعد هذه الآية التي جاءت تلبية لطلبهم، وتوعَّد من يكفر منهم بعد هذه المعجزة بعذاب شديد لا يعذبه لأحد آخر من العالمين، . . . قال تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وصار يوم نزول المائدة عيدًا للحواريين.

---

(١) قصص الأنبياء (ص ٦٦٢، ٦٦٣).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٥).

وظلوا على حالهم وتصديقهم لعيسى - عليه السلام - إلا رجلاً واحدًا كفر بعد رفع عيسى - عليه السلام -.

رفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يُبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشهد طيرانه بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها، وأجراها على يديه،

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٥٤ ، ٥٥).

ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام، ثم لم يُقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلا مشركًا من عَبَدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا وكتب لنائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى - عليه السلام-، وهو في جماعة من أصحابه اثنى عشر أو ثلاثة عشر، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيكم يُلقَى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن

ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب. فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفُتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى - عليه السلام - سِنة من النوم فرُفع إلى السماء، وهو كذلك. كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ[1] وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2] . . . فلما رُفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى في ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[4] أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[5][6].

---

(١) الوفاة هنا: بمعنى النوم - بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ سورة الأنعام: الآية: (٦٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٥٥).

(٣، ٤) سورة النساء: الآية: (١٥٧).

(٥) سورة النساء: الآية: (١٥٨).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٣، ٥٧٤) باختصار.

معجزات النبی صلی اللہ علیہ وسلم

بعض الإرهاصات قبل بعثة النبي ﷺ

حبايبي الحلوين:

* هناك بعض الإرهاصات التي حدثت للنبي ﷺ قبل بعثته.

فمن بين تلك الإرهاصات ما حدث يوم مولده ﷺ.

فلقد رأت أمه يوم مولده نورًا يخرج منها أضاءت منه قصور الشام.

قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»[1].

ودعوة إبراهيم - عليه السلام - هي قوله: ﴿ربنا وابعث

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٧١٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

فيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وبشرى عيسى. كما أشار إليه قوله عز وجل حاكيًا عن المسيح - عليه السلام -: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2].

وقوله: «ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام».

قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها،... كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

* * *

---

(1) سورة البقرة، الآية: (١٢٩).
(2) سورة الصف، الآية: (٦).
(3) سورة المائدة، الآيتان: (١٥-١٦).

قصة أصحاب الفيل

وكان من بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ (قصة أصحاب الفيل)... وإليكم هذه القصة:

* كان ياما كان.

كان هناك رجل اسمه أبرهة... وكان أبرهة الحبشى قد كلفه حاكم الحبشة النجاشى بأن يكون أميرًا على صنعاء (فى اليمن).

وكان أبرهة نصرانيًا... وكذلك كان النجاشى حاكم الحبشة.

وكان يسمع كثيرًا عن الكعبة وبيت الله الحرام..

وأن العرب يحجون إلى هذا البيت، فامتلأ قلبه حقدًا على العرب وجلس مع نفسه يفكر كيف يصرف العرب عن هذا البيت؟

وبعد تفكير عميق هداه شيطانه إلى أن يبنى كنيسة كبيرة فى صنعاء سماها «القُلَّيس» لم يرَ الناس مثلها فى زمانهم.

ثم كتب إلى النجاشي حاكم الحبشة قائلاً له: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك أبدًا... وإني لن أهدأ أبدًا حتى أصرف إليها حج العرب بدلا من أن يحجوا إلى الكعبة.

* وكان أبرهة الحبشي قد سخَّر أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيسة وسخرهم فيها أشد أنواع التسخير.

وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة.

وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخامًا وأحجارًا وأمتعة عظيمة وركَّب فيها صُلبانًا من ذهب وفضة.

وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيمًا جدًا واتساعها باهرًا.

* ولكنه رأى أن العرب لا تتجه إلا إلى البيت العتيق، ورأى أهل اليمن أنفسهم يَدَّعون البيت الذي بناه، وينصرفون إلى مكة؛... واشتد غيظُ العرب، واشتعلت

نيران الحقد في نفوسهم فقام رجل من كنانة فخرج من أرضه حتى وصل إلى صنعاء ودخل الكنيسة في وقت لم يكن فيها أحد وقضى حاجته في الكنيسة وترك فيها تلك النجاسات وخرج.

فلما علم أبرهة بذلك، غضب غضبًا شديدًا وقال: من صنع هذا؟!

فقيل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك: إنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فأحدث فيها.

فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه.

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت.

ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقًا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم

يقال له ذو نفر.

فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه وإخرابه. فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله.

فهُزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأُتى به أسيرًا.

فلما أراد قتله قال له ذو نفر: يا أيها الملك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرًا لك من القتل. فتركه ولم يقتله وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليمًا.

• ومضى أبرهة فى طريقه يريد هدم الكعبة.

ولما وصل إلى أرض (خثعم)، خرج له رجل اسمه نُفيل بن حبيب الخثعمى ومعه رجال أقوياء من قبيلة خثعم «وهما: شهران وناهس» مع جماعة أخرى من قبائل العرب، فقاتلوا أبرهة الحبشى، فهزمهم أبرهة وأخذ نُفيل ابن حبيب أسيرًا.

فلما أراد قتل نُفَيل، قال له نُفَيل: أيها الملك! لا تقتلني، فإني سأعمل معك وسأكون لك دليلاً في أرض العرب أدلك على الطريق. فتركه أبرهة وخلّى سبيله على أن يكون دليلاً له يُعرفه الطريق.

* فلما وصل أبرهة إلى بلاد الطائف، خرج إليه رجل اسمه مسعود بن معتب بن مالك ومعه جماعة من رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك: إنما نحن عبيدك وسوف نكون طوع أمرك وسنرسل معك أيضًا مَنْ يدلك على الطريق إلى الكعبة..

* وسار أبرهة حتى وصل إلى مكان اسمه (المغمس) فأرسل رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود حتى وصل إلى مكة، فأخذ أموال تهامة من قريش وغيرهم وأخذ مائتي بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم (جَدّ النبي ﷺ)... وكان عبد المطلب كبير قريش وسيدهم.

فأرادت قريش وكنانة وهذيل ومن كان من الحرم أن

يقاتلوا أبرهة ولكنهم أحسوا بأنهم لن يقدروا عليه فتركوا ذلك.

• وهناك بعث أبرهة رجلاً اسمه: حناطة الحميرى إلى مكة وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل هذا البلد. . . وأن يخبره بأن أبرهة ما جاء ليقاتلهم وإنما جاء لهدم الكعبة، فإن تركوه يهدم الكعبة، فلن يتعرض لهم. . وإن تعرضوا له فسوف يقتلهم.

ثم قال له أبرهة: فإن وجدت سيد أهل مكة لا يريد حربى فأتنى به، فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم.

فجاءه فقال له: ما أمره به أبرهة.

فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم - عليه السلام -.

فإن كان الله - عز وجل - سيحفظ بيته ويحميه من أبرهة فهو بيته وحرمه وإن يترك أبرهة يهدمه فليس عندنا

أحدٌ يستطيع أن يمنع أبرهة.

• فقال له حناطة: انطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى وصل إلى جيش أبرهة، فسأل عن (ذي نفر)؛ لأنه كان صديقًا له، فعلم أنه محبوس عند أبرهة، فلما دخل عليه قال له: يا ذا نفر هل عندي حيلة نتخلص بها من أبرهة؟

فقال ذو نفر: وهل أملك أي حيلة وأنا رجل أسيرٌ عنده أنتظر أن يقتلني في أي وقت... لكني أعرف شابًا طيبًا اسمه: أنيس وهو سائس الفيل، فسوف أرسل إليه وأوصيه بك وأعرفه قدرك ومكانتك وأطلب منه أن يستأذن لك لتدخل على أبرهة وتكلمه وسأجعله يشفع لك عند أبرهة بخير إن استطاع.

فقال عبد المطلب: يكفيني هذا يا صديقي.

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة، يطعم الناس بالسهل والوحوش في

رءوس الجبال، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت.

قال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك! هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يُطعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال، فائذن له عليك، فليكلمك فى حاجته، فأذن له أبرهة قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلكه.

فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان... فقال: حاجتى أن يرد علىَّ الملك مائتى بعير أصابها لى، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى.

أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو

دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه، لا تكلمني فيه؟

فقال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربًا يحميه.

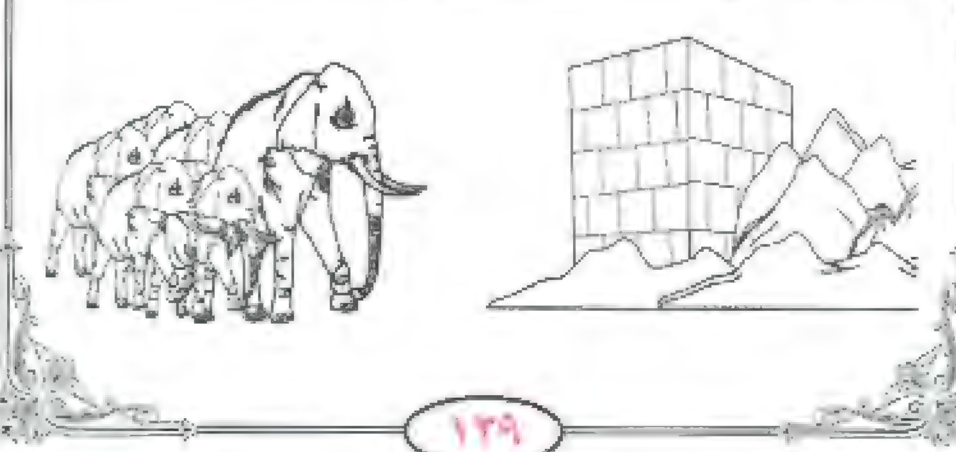
فقال أبرهة: لا يستطيع أحدٌ مهما كان أن يحمي البيت مني أبدًا.

فقال عبد المطلب: أنت وما تريد.

وهنا أمر أبرهة جنوده فردُّوا على عبد المطلب مائتي بعير.

* فلما خرج عبد المطلب، ذهب إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يخرجوا فوراً من مكة وأن يتحصنوا في رءوس الجبال.

* ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويطلبون منه النصر على



أبرهة وجنده.

* فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله المرعب وجيشه الكبير وكان اسم الفيل: (محمود).

فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام وأرسل أُذنه. فبرك الفيل... أي: سقط على الأرض.

* وهنا خرج نفيل بن حبيب يجري حتى صعد الجبل.

وأما أبرهة وجنوده فقد ضربوا الفيل؛ ليقوم من مكانه؛ فأبى فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى.

فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ويجري..

ووجهوه إلى المشرق، فقام يهرول ويجري.

فلما وجهوه إلى مكة، سقط على الأرض وبرك في مكانه.

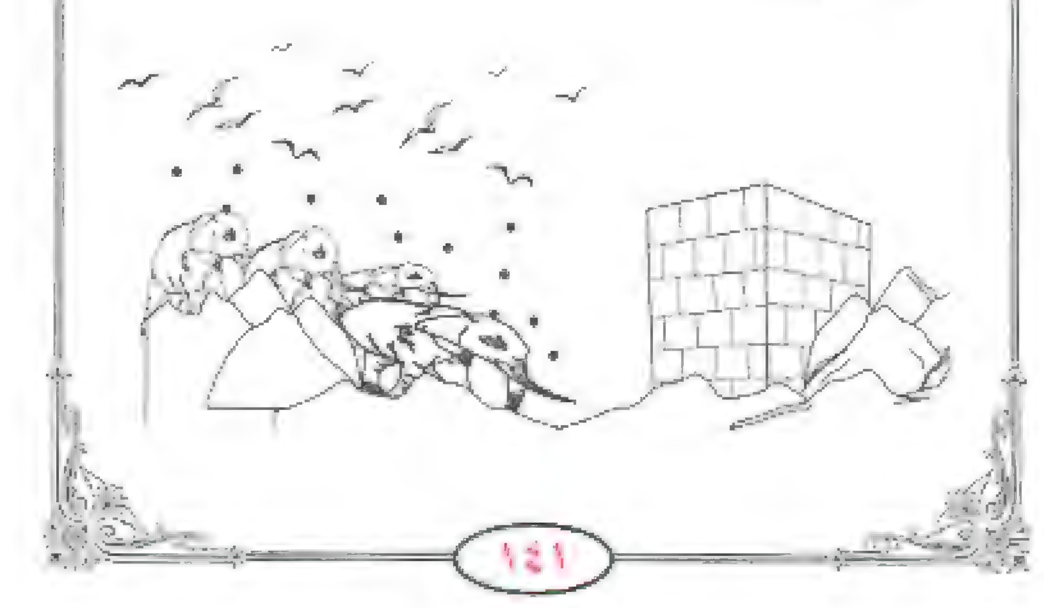
* وهنا كانت المفاجأة الكبرى.

لما أصر أبرهة وجنوده على هدم الكعبة، أرسل الله

عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف... مع كل طائر منهم ثلاثة حجارة يحملها... حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا أهلكته.

فخرجوا هاربين مرعوبين يبحثون عن الطريق ويسألون عن نُفَيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن.

* وأُصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أناملُهُ أُنملة أُنملة.. كلما سقطت أنملة، اتبعتها منه مِدّة تسيل قيحًا ودمًا حتى وصلوا به إلى صنعاء، فانصدع صدره عن قلبه حتى مات.



• وأما أبو رغال الذي بعثته قبيلة ثقيف مع أبرهة ليدله على الطريق إلى مكة، فقد مات في الطريق بمكان يقال له: (المغمس) فكان العرب يرجمون قبره بالحجارة بعد موته.

• وأما قائد الفيل وسائسه فقد أعمى الله أبصارهما فكانا يجلسان في الطرقات بمكة يسألون الناس الطعام والشراب.

• وهذا كله جزاء من تعرض لهدم بيت الله الحرام.

فلقد حمى الله بيته الحرام؛ لأنه سيكون قبلة لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذي وُلد في نفس العام (عام الفيل).

* * *



حادثة شق الصدر

ومن بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (حادثة شق الصدر).

ففي يوم من الأيام خرج النبي ﷺ ومعه أخوه من الرضاعة - ابن حليمة السعدية - وذهبا ليلعبا سويًا ونسيا أن يأخذا طعامًا فقال النبي ﷺ لأخيه: اذهب وائتنا بالزاد.

فذهب وأتى بالزاد... وبينما هما يلعبان إذ أقبل رجلان عليهما ثياب بيض فأخذا النبي ﷺ فأضجعاه وشقًّا بطنه يقول النبي ﷺ: «فشقًّا بطني، ثم استخرجا قلبي، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء بَرَد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسَّكينة[1]، فذرَّاها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطه. فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.

---

(١) السكينة: الطمأنينة والوقار.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفًا من أمته في كفة..» قال النبي ﷺ: «فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي، أُشفق أن يخرَّ عليَّ[1] بعضهم، فقال المَلَك: لو أن أمته وُزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني»[2].

* فلما رأى ذلك أخوه فزع وخاف خوفًا شديدًا وعاد إلى أمه حليمة مسرعًا وقد تغير لونه.

فقالت له أمه: مالك يا بُني.

فحكى لها كل ما رآه... فخرجت حليمة هي وزوجها وهما في غاية الخوف على محمد ﷺ فوجداه قائمًا قد تغير لونه فلما رآهما أجهش بالبكاء.. فأخذته حليمة في حضنها وسألته: ما الذي حدث لك؟ فحكى لها كل ما حدث.

فقال زوجها: والله إني أخشى أن يكون قد أصيب بمكروه فهيا لنرده إلى أهله قبل أن يحدث له شيء فيظن

---

(١) يخر: يسقط.

(٢) حسن: رواه الدارمي (١٣) في مقدمة سننه، وأحمد (١٧١٩٦) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٣).

الناس أننا قد أهملنا رعايته.

فذهبا به إلى أمه آمنة... فلما رأتهم آمنة تعجبت وقالت: ما الذى أتى بكما قبل أن أطلبه منكما وقد كنتما حريصين كل الحرص على بقائه عندكما.

فقالت حليمة: لا شيء سوى أنه قد أتم فترة الرضاعة منذ زمن فأحببنا أن نرده إليكم قبل أن يُصاب بمكروه.

فقالت: إنه قد حدث شيء ولابد أن تخبرينى يا حليمة.

فأخبرتها حليمة بما حدث... فتبسمت أم النبى ﷺ وقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك له، إن لابنى شأنًا، أفلا أخبركما خبره، إنى حملت به، فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف علىّ منه، ولا أيسر منه، ثم رأيت حين حملته خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببُصرى ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمدًا بيديه على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا.

قصة السحابة التى أظلته ﷺ

ومن بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ (السحابة التى أظلته)... وها هي قصة السحابة:

لقد كان أبو طالب يحب النبى ﷺ أكثر من حبه لأولاده وكان لا يُطيق فراقه لحظة واحدة.

وفى يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام فى تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمداً ﷺ... فأخذه معه فى رحلته إلى الشام.

وكان فى الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة نبى آخر الزمان فقد قرءوا صفته فى التوراة والإنجيل.

وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحًا يعرف صِفَةَ النبى ﷺ.

ونظر بَحيرا إلى القافلة التى قدم فيها أبو طالب ومحمد ﷺ فإذا به يَرى غَمامة (1) فى السماء تُظلل

(1) سحابة.

محمدًا ﷺ وتسير معه أينما سار، وهذه عَلامةٌ من عَلامات نبى آخر الزّمان، وأراد «بَحِيرا» التأكد من هذا النبى، والنظر فى وجهه، فصنع طَعامًا، ودعا القافلة جميعًا للأكل، فقالوا:

- يا بحيرا كنا نمر عليك فلم تصنع لنا طعامًا، فلماذا هذه المرة؟!

- قال: بل أنتم ضُيوفى، فلتأتوا جَميعًا ولا يتخلف منكم أحد.

وجاءوا جميعًا إلا رسول الله ﷺ فنظر بحيرا فلم يجده، فقال: هل جئتم جَميعًا؟

قالوا: نعم، إلا غُلامًا صَغيرًا، اسمه مُحمد جعلناه فى رِحَالِنا.

فقال: إذن، ليذهب أحدكم وَليأتِنى به.

وحضر محمد ﷺ، وجلس للطعام مع قَومِه فلما فَرَغَ القومُ من الطَّعام، وبقى بحيرا ومحمد ﷺ وحدهما.

قال بحيرا: يا غلامُ أسْتَحْلِفُك باللاتِ والعُزّى، أن تُجيبني عمّا أسألك عنه قال: لا تَسألني باللات والعزى شيئًا، فوالله إني لأكْرَهُهُمَا.

فقال: إذن أسألك بالله.

قال: اسأل عمّا بَدَا لك.

فراح بحيرا يسأله عن أُمور نومه، وطَعامه، حتى كشف عنه كَتِفَيه؛ فرأى خاتم النُّبوة على كَتِفه، وهو بعض شَعَراتٍ بين كتفيه، ثم انصرف رسول الله ﷺ.

فقال بحيرا لأبي طالب: مَن هذا الغُلام؟ فقال: ابني.

قال بحيرا: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغي أن يكون أبواه قد ماتا.

قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حُبْلى[1]، وماتت أمه.

فقال بحيرا: صَدَقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فلو عَرَفُوه ليقتلونه.

---

(١) حُبْلَى: أي حامل.

وعاد أبو طالب إلى مكة.

وقد تأكد أن لابن أخيه شأنًا بين الناس جَميعًا، وما زالت كلمات بَحيرا في أذنه: «احذر عليه اليهود»[1].

ملكان يظلان النبي ﷺ

ومن بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (إظلال الملكين له ﷺ).. وها هي القصة:

كان النبي ﷺ قد عُرف في مكة بأنه الصادق الأمين.. حتى أنه كان كثير من سادة قريش يضعون أموالهم وأماناتهم عند النبي ﷺ ومنهم من كان يعطيه ماله ليتاجر به ويعطيه على ذلك جزءًا من الربح... فكان النبي ﷺ يأخذ الربح ليساعد به عمه أبا طالب.

* وكان هناك في مكة امرأة عاقلة اسمها خديجة بنت خويلد وكانت امرأة غنية تتاجر بمالها... فقد كانت تزوجت قبل ذلك برجلٍ غني فمات فترك لها مالاً كثيرًا

---

(١) حياة محمد ﷺ للأطفال / أ. حامد أحمد (ص:٣٨-٤٠).

ثم تزوجت برجلٍ آخر فمات وترك لها مالاً وفيرًا. . .

فكانت تستأجر الرجال للعمل فى تجارتها.

ومن المعلوم أنهم كانوا يعيشون فى فترة جاهلية شديدة. . . فمن المؤكد أنها قد تعرضت للسرقة أكثر من مرة.

* **فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها:** من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مالٍ لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا اشتد الحرُّ يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت البضاعة التى جاء بها من الشام فأصبح ربحها مضاعفًا. . . ولم يحدث فى أى رحلة تجارية أن ربحت خديجة مثل هذا الربح فسألت غلامها ميسرة فأخذ يحدثها عن أخلاق النبى ﷺ وصدقه وأمانته.

بل أخذ يحدثها عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه.

* فذهبت خديجة إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان نصرانيًا قد قرأ كتب أهل الكتاب وعرف صفات نبى آخر الزمان. . فبشرها بأن هذه هى صفاته وأنه سيكون نبى آخر الزمان.

* * *

الحجر يسلم على النبي ﷺ

وكان من بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (تسليم الحجر عليه) فقد كان النبي ﷺ يمر في مكانٍ بمكة فيسمع صوت الحجر وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ حجرًا بمكة كان يُسلمُ عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفهُ الآن»[1].

معجزة القرآن الكريم أعظم المعجزات

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيَّده بالمعجزات الباهرة، تأييدًا منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ، وبرهانًا على صدقه، ودليلاً على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه، وأعظم آية أعطاها الله -جل وعلا- لرسوله ﷺ هي القرآن الكريم، ولهذا يقول ﷺ:

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧).

«ما من الأنبياء نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة»[1].

* قال الإمام ابن حجر:

قوله: «وإنما كان الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ» أي أن معجزتي التي تحديت بها هي الوحي الذي أُنزل عليَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يُؤتَ من المعجزات ما أُوتي مَن تقدَّمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يُعطَها بعينها غيره تحدَّى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيًا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بُعث فيهم النبى ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذى تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك.

وقيل: المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل.

وقيل المراد أن كل نبى أُعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا».

وقيل: المراد أن الذى أوتيته لا يتطرق إليه تخييل، وإنما هو كلام مُعجز لا يقدر أحد أن يأتى بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع فى معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر، والنظر عُرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما.

وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات، وتكميله في الذي بعده.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تُشاهَد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، . . . ومعجزة القرآن تُشاهَد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

قلت: ويمكن نَظْم هذه الأقوال كلها في كلام واحد؛ فإن مُحصِّلها لا ينافي بعضه بعضاً [1].



(1) فتح الباري (٨/ ٦٢٣).

إعجاز القرآن فى أربعة أشياء

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -:

وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن فى أربعة أشياء:

أحدها: حسن تأليفه والتئام كَلِمِه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نَظْمًا ونثرًا حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفُّر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتى من الكوائن التى وقع بعضها فى العصر النبوى وبعضها بعده فهذا القرآن فيه من الخير والهدى ما يكفى لهداية الكون كله، بل وأكثر من هذا.

* ففيه الهدى الذى يوصل إلى كل خير فى الدنيا

والآخرة... قال تعالى: ﴿الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [1].

* أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ودلّنا على كل طريق يوصل إلى الجنة وحذرنا من كل طريق يورد النار.

* جعل الله فيه الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة والزاجرة عن كل رذيلة.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

* تعلّمنا من خلال آياته نعمة التوحيد ومغبة الإشراك.

* جعل الله فيه الشفاء لكل الأمراض القلبية والنفسية والعقلية... ففيه الشفاء من الكفر والشرك والكبر والحسد والبخل والظلم والخوف والقلق... فقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [3].

---

(1) سورة البقرة الآيتان: (1-2).
(2) سورة يونس الآية: (57).
(3) سورة الإسراء الآية: (82).

* وعظنا الله بآيات القرآن فجعل القلوب رقيقة وجعلها تستقبل الحق والهدى وتبتعد عن الضلال والباطل بكل ما فيه.

* جعل الله فيه الروح التي تتوقف عليها حياة الإنسان، فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة.

إن الناس بدون أن تسري فيهم الروح القرآنية أموات حقًا، لا ينتفعون بوجودهم، ولا بحياتهم المادية.

قال تعالى في هذا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

* وهو النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية... قال تعالى في تقرير نورانيته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (٢).

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

(٢) سورة النساء الآية: (١٧٤).

* وفيه البشرى بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما.

قال تعالى في ذلك: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

* الحق الإلهى الثابت فى نفسه، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق، فكل حق القرآن يؤيده، والقرآن يقرره، قال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾[3].

أى متلبسًا به مشتملاً عليه، مؤيدًا له، ومقررًا.

* الذكر الإلهى الذى تحيا عليه القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح، وتزكو بالعمل به النفوس. الذكر المكسب للشرف، والموصل لحضرة القدس، والرافع إلى ملأ الأخيار. قال تعالى: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾[4].

وقال فى الحديث عنه: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة النحل الآية: (٨٩).
(٢) سورة الإسراء الآية: (١٠٥)
(٣) سورة المائدة الآية: (٤٨).
(٤) سورة ص الآية: (١).
(٥) سورة الزخرف: الآية: (٤٤).

- الخير العام لكل إنسان، وجان، وحيوان، فما من كائن في هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن [1].

- الإعجاز العلمي الذي احتوى عليه القرآن:

القرآن لا تنقضي عجائبه، فكلما مَرَّ الزمن اكتشفت البشرية وجهًا جديدًا من إعجازه، فما إن دخل الناس في عصر العلوم الكونية حتى وجدوا في كتاب الله نبأ صدق ما وعدهم في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [2].

وإذا بالوعد يتحقق.

- حفظه من التغيير والتبديل:

ومن العلامات الإلهية في القرآن كونه محفوظًا من التغيير والتبديل، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل، وما حصل من محاولات التحريف باءت جميعها بالفشل.

---

(١) عقيدة المؤمن/ الشيخ أبو بكر الجزائري (ص: ٢٥٣-٢٥٤) بتصرف.

(٢) سورة فصلت الآية: (٥٣).

فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد، وإنك لتسمع القرآن اليوم يذاع من إذاعات العالم المختلفة ومن الدول المعادية للإسلام[1]، فإذا هو القرآن المعروف الذى أنزل على محمد ﷺ.

وهذا كله تصديق لوعد الله سبحانه الذى تكفل بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

• علومه الواسعة:

اشتمل القرآن على علوم ومعارف تهدى البشر إلى طريق الحق والصواب والسعادة فى جميع شؤونهم فى حياتهم الدنيا والآخرة، وتجنبهم الشر بحذافيره، فى كل زمان ومكان، وقد بلغت هذه العلوم من دقة المعلومات، وصحة الأخبار، ونبالة القصد، ونصاعة الحجة، وحسن الأثر، وعموم النفع مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ -

(١) تذيع هذه الدول القرآن تأليفًا لقلوب عامة المسلمين.
(٢) سورة الحجر الآية: (٩).

وهو رجل أُمّي نشأ بين أُميين - أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من علماء وأدباء وفلاسفة وأخلاقيين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم ولو تظاهروا على ذلك[1]، فالعلوم التي في القرآن تدل كل عاقل ومنصف على أنه من عند الله، ولا يمكن أن تكون من عند غيره، ونضرب لك ثلاثة أمثلة مما احتوى عليه من العلوم:

• إخباره بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل:

فمن إخباره بالغيب الماضي: إخباره بقصص الأمم السابقة التي لم يشهدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو قومه، مثل قصة نبي الله نوح - عليه السلام - مع أمته التي كانت من أقدم الأمم على الأرض.

وأخبر الله سبحانه نبيه في القرآن بعد أن ذكر قصة نوح - عليه السلام - مع قومه في سورة هود أن هذه القصة من أخبار الغيب التي لم يكن محمد ﷺ يعلمها

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٣٦٦).

ولا قومه، وإنما ساقها الله للعبرة ولتسلية نبيه محمدٍ ﷺ . قال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾[1] .

ولو أن الكفار في عهد النبي ﷺ كانوا يعلمون شيئًا من ذلك لكانت فرصة لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم لاذوا بالصمت .

وكما أخبر القرآن بالغيب الماضي فقد أخبر ببعض الحوادث التي لم يشهدها رسول الله ﷺ - وهي في زمنه فكانت غيبًا بالنسبة له - فأطلعه الله عليها، ومن ذلك :

أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسرّ إلى بعض أزواجه أنه قد حرم على نفسه شرب العسل الذي عند بعض نسائه، لما ظن أن فيه رائحة غير مستحسنة، وأمرها ألا تخبر بذلك أحدًا، فأخبرت بعض نسائه بذلك، فأطلعه الله سبحانه على ذلك وأخبرها به، فسألته عمن

(١) سورة هود الآية: (٤٩).

أخبره بذلك الغيب فأخبرها أنه الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ(1) عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ(2) فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾(3).

وهناك نوع آخر من الغيب كشفه الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الغيب المكنون في المستقبل الذي لا سبيل لأحد من البشر أن يعرفه. ومن أمثلته ما وعد الله به المؤمنين من الاستخلاف في الأرض مع أنهم كانوا قلة مستضعفة، . . . قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(4).

وقد تحقق ذلك الوعد فخلال قرن من الزمان انتصر المؤمنون على الدولتين العظيمتين في ذلك الوقت وفتحوا

---

(1) أطلعه الله عليه.

(2) يعني: ذكر لها بعض ما أخبرت به، وسكت عن البعض الآخر تكرما.

(3) سورة التحريم: الآية: (3).

(4) سورة النور: الآية: (55).

الأرض شرقًا وغربًا ودانت لهم شعوبها بالإسلام ودخلوا في دين الله أفواجًا.

ومن أمثلة الإخبار بغيب المستقبل أن يقرر القرآن أن أشخاصًا معينين بأسمائهم لن يُسلموا وأنهم سيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يكذبوا القرآن ولو تظاهروا بالإسلام تظاهرًا، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن في حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوةً له. ومن ذلك ما ذكره سبحانه عن أبي لهب أنه من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾[1] وكذلك إخباره عن الوليد بن المغيرة أنه سيصلى النار... قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[2] وكان الأمر كذلك فمات أبو لهب كافرًا، ومات الوليد كافرًا، إلى غير ذلك من الأمثلة[3].

---

(١) سورة المسد الآيات: (١ : ٤).

(٢) سورة المدثر الآية: (٢٦).

(٣) انظر مزيدًا من الأمثلة على إخبار القرآن بالغيب في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٧٠-٧٩).

تحدى الكافرين أن يأتوا بمثله:

قال تعالى مبينًا عجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١).

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال سبحانه:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا، . . . . قال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٣).

ولو كان القرآن من كلام الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الإسراء الآية: (٨٨).

(٢) سورة هود الآية: (١٣).

(٣) سورة البقرة الآيتان: (٢٣: ٢٤).

وسلم لما جزم بعدم استطاعة أحد أن يأتي بمثله.

وتحقّق هذا الجزم بعد ذلك دليلٌ على أن القرآن كلام الله المعجز[1].

انشقاق القمر

لقد كان كفار قريش يرفضون دعوة النبي ﷺ ويتعنتون في طلب المعجزات ظنًا منهم أن النبي ﷺ سيعجز عن ذلك فيكون ذلك سببًا في عدم إسلامهم.

* وفي يوم من الأيام عرض عليهم النبي ﷺ الإسلام فطلبوا منه أن يُريهم معجزة تدل على صدقه في أنه نبي حتى يؤمنوا.. فسألهم النبي ﷺ عما يريدون فقالوا: لئن شققت لنا القمر نصفين لنؤمن معك.

* فقام النبي ﷺ يسأل ربه -جل وعلا- أن يشق لهم القمر نصفين.

فانشقَّ القمر نصفين فقاموا وقالوا: سَحَرنا محمد..

[1] بتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته) / للشيخ عبد المجيد الزنداني (حفظه الله).

ورفضوا أن يؤمنوا.

* فقال أحدهم: هيا نسأل القوافل التى جاءت فى تلك الليلة عما رأوه... فسألوا إحدى القوافل التجارية فقالوا: لقد رأينا القمر نصفين فى تلك الليلة. ومع ذلك أصروا على كفرهم وعنادهم.

* وها هو عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله عنهما يقصان لنا تلك المعجزة.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[1].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٦٤) التفسير، ومسلم (٢٨٠٠) صفات المنافقين.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٦٧) التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) صفات المنافقين.

حراسة النبي ﷺ بالملائكة

ولقد كانت الملائكة تحرس النبي ﷺ .... حتى أنه لما جاء أبو جهل وأراد أن يؤذي النبي ﷺ رجع مفزوعًا مما رآه.

فقال النبي ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

* وها هو أبو هريرة رضي الله عنه يحكي لنا هذه القصة:

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهلٍ هل يُعفرُ مُحمدٌ وجهه بين أظهُركُم؟ قال: فقيل: نعم فقال: واللات والعُزَّى لئن رأيتُهُ يفعلُ ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب! قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهُم منهُ إلا وهُو ينكصُ[1] على عقبيه ويتقي بيديه! قال فقيل له ما لك؟ فقال إن بيني وبينهُ لخندقًا من نارٍ وهولاً وأجنحةً!! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفتهُ الملائكةُ عُضواً

(1) النكوص: الرجوع إلى خلف.

عضوًا!!»، وفى ذلك قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [(١)(٢)].

معجزة الإسراء والمعراج

وهذه المعجزة كانت أيضًا من أعظم معجزات النبى ﷺ.

فهل يستطيع أحدنا يا أحبابى أن يتصور كيف أن أحدًا من البشر يقطع المسافة من المسجد الحرام (فى مكة) إلى المسجد الأقصى (فى فلسطين) ثم يصعد إلى السماوات السبع ويصل إلى سدرة المُنتهى ويعود مرة أخرى فى جزء يسير من الليل؟!!!.

إنه أمر يفوق خيال البشر.

---

(١) سورة العلق: الآية: (٩-١٩).

(٢) صحيح. رواه مسلم (٢٧٩٧).

ولكن إذا علمنا أن كل هذا كان بأمر الله وقدرته فإنه يزول العجب وتزول الحيرة لأننا نعلم أن الله على كل شيء قدير.

ولذلك بدأ الله سورة الإسراء بكلمة (سبحان) التي تهيئ الإنسان إلى أن الذي سيأتي بعد هذه الكلمة أمر عجيب يفوق خيال البشر... قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [1].

فالذي أسرى بالنبي ﷺ هو الله الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

* فتعالوا بنا لنرى كيف كانت معجزة الإسراء والمعراج.



(١) سورة الإسراء: الآية: (١).

قصة الإسراء والمعراج

حبايبي الحلوين،

قبل أن نبدأ ذكر قصة الإسراء والمعراج فلا بد أن نُكثر من الصلاة على النبي محمد بن عبد الله ﷺ .

رحلة الإسراء والمعراج كانت تكريما لشخص النبي ﷺ

وفي ظل هذه الأحزان الشديدة التي تعرض لها النبي ﷺ كان من رحمة الله بالنبي ﷺ أن أكرمه برحلة الإسراء والمعراج لتكون تكريمًا له ﷺ ، وتسلية له عما أصابه من المصائب والأحزان ليزداد يقين النبي ﷺ بنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه -جل وعلا- والنصر على أعدائه .

وفي هذه الرحلة أطلعه الله على أشياء عظيمة من ملكوته العظيم حتى امتلأ قلب النبي ﷺ بالنور والرضا والطمأنينة .

رحلة الإسراء وشق صدر النبي ﷺ

كـان النبي ﷺ نائمـا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب وكان بيتها عند شِعب أبي طالب.

وفجأة انفتح سقف بيتها ونزل جبريل - عليه السلام - فتعجب النبي ﷺ وسأل جبريل عن سبب نزوله فأخبره جبريل أنه لابد أن يخرج معه الآن إلى المسجد.

فخرج معه النبي ﷺ إلى المسجد وإذا بجبريل - عليه السلام - يشق صدر النبي ﷺ ثم يغسله بماء زمزم ثم جاء بطست من الذهب قد امتلأ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدر النبي ﷺ ثم أغلق صدره.

ونحن نعلم يا أحبابي أن جبريل - عليه السلام - شق صدر النبي ﷺ ثلاث مرات:

المرة الأولى: وهو صغير يلعب مع الغلمان فأخذه جبريل فصرعه فشق صدره واستخرج القلب واستخرج منه علقة وقال له: هذا حظ الشيطان منك ثم غسل صدر النبي في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاد صدره كما كان.

والمرة الثانية: عند بعثة النبى ... فقد فعل جبريل معه مثلما فعل فى المرة الأولى لكن زاد فى هذه المرة أن ختم فى ظهر النبى ﷺ خاتم النبوة.

والمرة الثالثة: عند رحلة الإسراء والمعراج.

النبى ﷺ يركب البراق

وبعد أن غسل جبريل صدر النبى ﷺ أتاه بالبُراق.

والبُراق: هو دابة أبيض طويل وهو أكبر من الحمار وأصغر من البغل.

وهو سريع جداً يضع حافره عند آخر شيء يراه ببصره.

فخطوته كبيرة جداً يقطع بها المسافات الطويلة فى وقت قصير.

• فلما أراد النبى ﷺ أن يركب البراق استصعب عليه فلم يتمكن النبى ﷺ من ركوبه.. فقال جبريل للبراق: أتفعل هذا بمحمد ﷺ؟ فوالله ما ركبك أحدٌ

أكرم على الله منه ﷺ.

• وما هي إلا دقائق معدودات حتى وصل النبي ﷺ إلى بيت المقدس ثم ربط جبريل البراق بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم).

ثم دخل النبي ﷺ المسجد وصلى فيه ركعتين.

ثم خرج النبي ﷺ بعد ذلك وإذا بجبريل ينتظره في الخارج ومعه إناء فيه خمر وإناء آخر فيه لبن.

فنظر جبريل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله: أيهما تختار: الخمر أم اللبن؟

فاختار النبي ﷺ اللبن.

فقال له جبريل - عليه السلام -: لقد اخترت الفطرة[1].

* * *

[1] صحيح: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

رحلة المعراج

وبعد أن انتهت رحلة الإسراء بدأت رحلة المعراج فجاء جبـريل - عليه السلام - بالمعـراج العظيم الذي يصل من الأرض إلى السماء.. وهو السُّلَّم الكبيـر الذي صعد عليه النبي ﷺ في جزء يسير من الليل إلى السماوات السبع.

ويا لها من رحلة عظيمة يعجز القلم عن وصفها.

فالنبي ﷺ أُسري به من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرِج به إلى السمـاوات السبع ثم عاد في جزء يسير من الليل.

المشاهد التي رآها النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج (١)

لقـد رأى النبي ﷺ فـي رحلة الإسـراء مـشـهـداً عجيباً!!!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

يا ترى ما هو المشهد الذى رآه النبى ﷺ فى رحلة الإسراء؟

لقد رأى موسى - عليه السلام - وهو يصلى فى قبره.

قال ﷺ: «مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم فى قبره يصلى»[1].

النبى ﷺ يرى الأنبياء ويسلم عليهم

ففى رحلة المعراج لما صعد النبى ﷺ مع جبريل - عليه السلام - إلى السماء الدنيا فقالت الملائكة لجبريل: من هذا الذى معك.

قال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

فرحبت به الملائكة ترحيبًا شديدًا وفرحوا بلقاء النبى ﷺ فرحًا عظيمًا... فالنبى ﷺ هو حبيب أهل الأرض والسماء.

صعد النبى ﷺ إلى السماء الأولى فوجد فيها رجلاً وقورًا عن يمينه أناس كثيرون وعن يساره أناس كثيرون.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٧٥).

فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى.

فسأل النبي ﷺ جبريل - عليه السلام - وقال له: «من هذا الرجل؟».

فقال جبريل: هذا آدم - عليه السلام - وهؤلاء الذين عن يمينه وشماله هم أولاده ... فالذين عن يمينه هم أهل الجنة.

فإذا نظر إليهم ضحك.. والذين عن شماله هم أهل النار فإذا نظر إليهم بكى.

فاقترب النبي ﷺ من أبينا آدم - عليه السلام - وسلَّم عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح.

• ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء الثانية فسألت الملائكة جبريل - عليه السلام -: من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا... وفتحت له أبواب السماء الثانية.

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الثانية وجد فيها عيسى ويحيى عليهما السلام، فقال له جبريل - عليه السلام-: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما فسلم النبى ﷺ عليهما فردَّا عليه السلام وقالا له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء الثالثة فسألت الملائكة جبريل - عليه السلام - من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا.. وفتحت له أبواب السماء الثالثة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء الثالثة وجد فيها يوسف - عليه السلام -.

فقال له جبريل - عليه السلام -: هذا يوسف فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء الرابعة فسألت

الملائكة جبريل - عليه السلام - من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً... وفتحت له أبواب السماء الرابعة فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الرابعة وجد فيها إدريس - عليه السلام - فقال له جبريل - عليه السلام -: هذا إدريس فسلِّم عليه.

فسلم النبي ﷺ عليه فرد السلام وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء الخامسة فسألت الملائكة جبريل - عليه السلام -: من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً... وفتحت له أبواب السماء الخامسة.

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الخامسة وجد فيها هارون - عليه السلام -.

فقال له جبريل - عليه السلام -: هذا هارون فسلِّم عليه.

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء السادسة فسألت الملائكة جبريل - عليه السلام - من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا.. وفتحت له أبواب السماء السادسة.

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء السادسة وجد فيها موسى - عليه السلام -.

فقال له جبريل - عليه السلام -: هذا موسى فسلِّم عليه.

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

فلما جاوزه النبي ﷺ ليصعد إلى السماء السابعة وإذا بنبي الله موسى يبكي فقيل له: ما يُبكيك؟.

قال: أبكي لأن محمدًا ﷺ يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

* ثم صعد النبى إلى السماء السابعة فسألت الملائكة جبريل - عليه السلام -: من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا . . . وفتحت له أبواب السماء السابعة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء السابعة وجد فيها إبراهيم- عليه السلام - فقال له جبريل - عليه السلام -: هذا إبراهيم فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح.

* فرأى النبى ﷺ إبراهيم - عليه السلام - مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور فى السماء السابعة.

فسأل النبى ﷺ جبريل - عليه السلام -: ما هذا البيت؟

فقال جبريل: هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك فإذا خرجوا لم يعودوا إليه . . . يعنى كل يوم سبعون ألف ملك غير الذين قبلهم.

النبى ﷺ يرى سدرة المنتهى

ثم رأى النبى ﷺ سدرة المنتهى ووجد أن الثمرة الواحدة فيها مثل الجرة الكبيرة التى كانت تُصنع فى قرية هجر فى البحرين... ورأى ورقها مثل آذان الفيلة.

فسأل النبى ﷺ جبريل - عليه السلام -: «ما هذا؟».

فقال: هذه سدرة المنتهى.

* ورأى النبى أربعة أنهار: نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل النبى ﷺ جبريل - عليه السلام - وقال: «ما هذا؟».

فقال جبريل: أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات.

* ثم أتى جبريل للنبى ﷺ إناءٍ من خمر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل فاختار النبى ﷺ اللبن.

فقال جبريل: هذه هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك[1].

---

(1) صحيح: رواه مسلم (164).

فرض الصلاة على النبي ﷺ وأمته

ثم فُرضت الصلاة على النبي ﷺ وأمته خمسين صلاة كل يوم.

فعاد النبي ﷺ... وفي طريق العودة مرَّ النبي ﷺ على موسى - عليه السلام - فسأله موسى وقال: بأي شيء أمرك الله -جل وعلا-.

فقال النبي ﷺ: «أمرت بخمسين صلاة كل يوم».

فقال موسى - عليه السلام -: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

فعاد النبي ﷺ إلى ربه وسأله التخفيف فوضع الله عنه عشرا فأصبحت أربعين صلاة.

فعاد النبي ﷺ إلى موسى - عليه السلام - فقال له نفس الكلام وقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

فعاد النبي ﷺ إلى ربه وسأله التخفيف فوضع عنه

عشرًا فأصبحت ثلاثين صلاة.

وظل النبي ﷺ على تلك الحالة حتى أصبحت الصلاة خمس صلوات... فلما قال له موسى - عليه السلام -: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

قال له النبي ﷺ: «لقد سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلّم»[1].

فإذا بالحق -جل وعلا- يجعلها خمس صلوات ولكن بأجر خمسين صلاة.

رؤية النبي ﷺ لمالك خازن النار والمسيح الدجال

وفي هذه الرحلة المباركة رأى النبي ﷺ أشياءً عجيبة.

وكان من بين تلك الأشياء التي رآها النبي ﷺ أنه رأى المسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان.. ووصفه النبي ﷺ لأصحابه وصفًا دقيقًا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)

ورأى النبي ﷺ مالكًا خازن النار وطلب جبريل - عليه السلام - من النبي ﷺ أن يسلم على مالك فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ عليه السلام.

ولقد وصفه النبي ﷺ لأصحابه وأخبرهم بأنه كريه المنظر.. وذلك ليكون زيادة في عذاب أهل النار.

رؤية النبي ﷺ للذين يغتابون الناس

وفي هذه الرحلة رأى النبي ﷺ منظرًا عجيبًا... فلقد رأى النبي ﷺ قومًا لهم أظفار من نحاس يُقطعون بها وجوههم وصدورهم فتعجب النبي ﷺ وسأل جبريل - عليه السلام - وقال له: «من هؤلاء يا جبريل؟».

فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم[1].

أي: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقولون عنهم كلامًا سيئًا في غيبتهم.

(1) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٣٣).

رؤية النبى ﷺ لخطباء أمته الذين يقولون ما لا يفعلون

وفى هذه الرحلة أيضًا رأى النبى ﷺ منظرًا عجيبًا.

لقد رأى النبى ﷺ قومًا تُقرض وتُقطع شفاههم بمقاريض من النار فسأل جبريل - عليه السلام - وقال: «من هؤلاء يا جبريل؟».

فقال جبريل: هؤلاء خطباء أمتك الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون.

مرور النبى ﷺ على رائحة ماشطة ابنة فرعون

وفى هذه الرحلة ... بينما كان النبى ﷺ يصعد مع جبريل - عليه السلام - إلى السماوات السبع إذ مرت عليه رائحة طيبة فتعجب النبى ﷺ.

وسأل جبريل: ما هذا يا جبريل؟

فقال جبريل: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.

فسأله النبي ﷺ عن قصتها.

فقال جبريل - عليه السلام -: هذه امرأة كانت تعمل في قصر فرعون وكانت وظيفتها أنها ماشطة ابنة فرعون فهي التي تربيها وتمشط شعرها وتدبر كل أمورها.

وفي يوم من الأيام كانت هذه الماشطة تمشط شعر ابنة فرعون فسقط منها المشط فمدت يدها وقالت: بسم الله.

فقالت ابنة فرعون: أبي؟!

فقالت الماشطة: إن أباك ليس إلهًا.. ولكني أقول: بسم الله الذي هو ربي وربك ورب أبيك.

فقالت ابنة فرعون: سأخبر أبي بذلك.

فقالت الماشطة: افعلي ما شئت.

فذهبت ابنة فرعون لأبيها وأخبرته أن الماشطة تعبد إلهًا غيره فأرسل إليها فرعون وسألها: هل تعبدين إلهًا غيري؟

فقالت الماشطة: أعبد الله ربي وربك ورب العالمين.

فأمر فرعون ببقرة من نُحاس فأحميت في النار ثم أمر الجنود والحراس بأن يلقوها هي وأولادها فيها حتى يموتوا جميعًا.

فطلبت من فرعون طلبًا واحدًا.. وهو أن يجمع عظامها وعظام أولادها بعد الموت ويجعلهم جميعًا في قبرٍ واحد.

فوافق فرعون على ذلك.

وأمر الجنود بالقضاء عليها هي وأولادها.

فبدأوا يأخذون أولادها واحدًا واحدًا ويلقوه في البقرة النحاسية ليموت أمام أمه.

وهي ترى هذا المشهد المفزع أمام عينيها وتصبر وتحتسب.

إلى أن جاء الدور على طفلها الصغير الذي تُرضعه فأخذوه من على صدرها فكادت أن تُفتن فأنطق الله طفلها الرضيع فقال: يا أمي اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

فاقتحمت وألقت بنفسها فى البقرة النحاسية فماتت.

فأكرمها الله -جل وعلا- بأن تحولت رائحة عظامهم بعد الحرق إلى رائحة طيبة شمها النبى ﷺ فى رحلة المعراج.

النبى ﷺ يرى الجنة والنار

وفى هذه الرحلة المباركة رأى النبى ﷺ الجنة والنار... لقد رأى النار.. ورأى بعض مشاهد العذاب لأهل النار... ورأى الجنة.. ورأى بعض مشاهد نعيم أهل الجنة.

هبوط النبى ﷺ إلى بيت المقدس

وبعد هذه الرحلة العظيمة عاد النبى ﷺ مع جبريل - عليه السلام - وهبط مرة أخرى إلى بيت المقدس وهبط معه كل الأنبياء الذين رآهم النبى ﷺ فى السماوات السبع.

ودخلوا جميعاً بيت المقدس فصلى بهم النبى ﷺ

إماماً ليعرف الكون كله أن النبي ﷺ هو سيد الأولين والآخرين.

ثم ركب النبي ﷺ البراق وعاد إلى مكة مرة أخرى.

وكان وقت هذه الرحلة العظيمة هو جزء يسير من الليل.

قريش تكذب النبي ﷺ

ولما عاد النبي ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبي ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أُسري بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج بك إلى السماء السابعة ثم عُدت مرة أخرى في جزء يسير من الليل.

فقال النبي ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فوافق النبي ﷺ على ذلك.. وبدأ يصف لهم

المسجد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى المسجد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح . . . فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعته أمام النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبى ﷺ لم يذهب إلى هناك .

موقف أبى بكر الصديق من رحلة الإسراء والمعراج

ولما سمع المشركون عن رحلة الإسراء والمعراج ذهبوا إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه وقالوا له: إن محمداً يزعم أنه أسرى به الليلة إلى المسجد الأقصى فى جزء من الليل ونحن نقطع هذه المسافة فى شهر كامل فماذا تقول يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر : إن كان النبى ﷺ قال ذلك فقد صدق . . إنى لأصدقه فى خبر السماء أفلا أصدقه فى بيت المقدس .

فلما رأى النبى ﷺ تكذيب كفار قريش له، قال لجبريل - عليه السلام -: «يا جبريل إن قومى لا يصدقونى».

فقال جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصدِّيق[1].

الله يعمى أبصار المشركين عن رؤية النبى ﷺ ليلة الهجرة

وفى ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبونه حتى إذا نام انقضُّوا عليه وقتلوه جميعًا.

فلما رأى النبى ﷺ مكانهم أمر على بن أبى طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر عليًا بأن يرد كل الودائع والأمانات التى عنده لأصحابها.

* ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبى ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شىء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان

(1) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (3 / 1 / 121).

يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتآمرين فناموا..

ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رءوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جهز نفسه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟

قالوا: محمداً.

قال: خيبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش.

---

(1) سورة يس، الآية: (9)

فظنوا أن النبي ﷺ ما زال نائمًا مكانه . . . فدخلوا وكشفوا الغطاء فوجدوا علي بن أبي طالب فسألوه عن مكان النبي ﷺ فقال : لا أدري قد تركني هنا لأرد إليكم أماناتكم .

فقالوا : لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج محمد ﷺ .

تأييد الله لرسوله ﷺ أثناء هجرته

خرج النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق مهاجرين إلى المدينة النبوية ، واختفيا في غار ثور ثلاثة أيام ، وصعد المشركون إلى الغار بحثًا عن النبي ﷺ وأبي بكر ، فحمى الله نبيه وأبا بكر منهما .

قال أبو بكر : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال النبي

ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1]. وأشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ[2] عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

قصته ﷺ مع سراقة وفرسه

كانت قريش قد أعلنت عن جائزة كبيرة مقدارها مائة ناقة لمن يأتي برسول الله ﷺ وأبي بكر أو يدل عليهما... وكانت هذه الجائزة كبيرة جداً ولذلك طمع كثير من المشركين في أن يعرفوا مكان النبي ﷺ حتى يفوزوا بهذه الجائزة.

وكان من بين هؤلاء الناس الذين كانوا يسعون للفوز بهذه الجائزة رجل اسمه (سراقة بن مالك) الذي ما إن سمع

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) قال ابن كثير: أي النصر والتأييد.

(٣) سورة التوبة الآية (٤٠).

بتلك الجائزة حتى أخذ يبحث عن النبي ﷺ في كل مكان حتى لحق برسول الله ﷺ وأبي بكر فلما اقترب منهما غاصت أقدام فرسه في الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ الأمان... لكنه أراد أن يغدر بالنبي ﷺ فغاصت أقدام فرسه مرة أخرى في الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ الأمان.

فلما أراد الغدر للمرة الثالثة غاصت أقدام فرسه في الأرض فعلم أن هذا الرجل هو رسول الله ﷺ وأن الله -جل وعلا- هو الذي يحميه ويدافع عنه.. فأقبل على النبي ﷺ وأسلم فبشره النبي ﷺ بأنه سيلبس (سِوارَي كسرى).

وقد حدث هذا بالفعل في عهد عمر بن الخطاب ﷺ.



قصته ﷺ مع شاة أم معبد

وفي الطريق عطش النبي ﷺ هو وأبو بكر فنزلا على امرأة تُسمى (أم معبد الخزاعية) وكانت تعيش في خيمة على الطريق من مكة إلى المدينة... فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يجدوا عندها شيئًا من ذلك.

وكان أهل هذا المكان يعانون في هذا الوقت من القحط والجدب... فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قد جفَّ ضرعها وأوشكت على الموت فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟».

قالت: إنها شاة ضعيفة.

فقال لها: «هل بها من لبن؟».

فقالت: ليس بها لبن.

فقال لها: «هل تأذنين لي أن أحلبها؟».

فقالت له: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها لبنًا فاحلبها[1].

(1) أخرجه الطبراني (٤/ ٤٨)، وابن عساكر (٣/ ٣٢٤).

معجزات فى غزوة بدر[1]

بعد أن أخرج الكفار المسلمين من ديارهم وأموالهم، كانت وقعة بدر أول لقاء مسلح كبير بين الكفر والإيمان، حيث خرج كفار قريش فى بَطَر ورياء وغطرسة لحماية قافلتهم التجارية من هجوم المسلمين.

استعد النبى ﷺ وأصحابه لقتال حراس القافلة ذوى العدد المحدود، وكان المشركون قد استعدوا للحرب، فبلغ عددهم ما يقرب من الألف ومعهم سبعون فارسًا، والجيش الإسلامى لا يتعدى ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً تقريبًا، ومعهم فارسان فقط. ولما كان الجيشان غير متكافئين، واللقاء حتمى بينهما، أيَّد الله جيش الإسلام والنبوة بآيات خارقة للسُّنن المعروفة، ومن ذلك:

(أ) إنزال المطر عليهم:

حيث أنزل الله سبحانه من السماء ماءً كان رحمةً على المؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم

(١) بتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته / للشيخ عبد المجيد الزندانى (حفظه الله).

به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ [1]. فذكر سبحانه أنه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتلبيد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم.

* قال مجاهد: أنزل الله المطر فأطفأ الغبار وتلبدت الأرض وطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم [2].

* وقال عروة بن الزبير:

بعث الله السماء وكان الوادي دهسًا [3]، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبَّد [4] لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا أن يرحلوا معه [5].

وكان نزول المطر سببًا في إذهاب وسوسة الشيطان الذي أراد به تثبيط المؤمنين عن القتال بعد احتلامهم بالليل

---

(١) سورة الأنفال الآية (١١).
(٢) التفسير الصحيح (٢/ ٣٨٧).
(٣) دهسًا: أي تربته سهلة لينة.
(٤) لبد الأرض: أي جعلها متماسكة.
(٥) أخرجه ابن إسحاق كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره.

حيث كانوا يصلون مُجنبين، فحين نزول المطر وُجد الماء الذي اغتسلوا به من الجنابة، وأذهب الله بذلك رجز الشيطان[1].

ولقد أثبت العلم الحديث أن عضلات القلب عبارة عن ألياف عضلية في شكل خيوط طولية وعرضية تلف القلب، فإذا أفرزت مادة (الأدرينالين) عملت على ارتخاء عضلات القلب وبالتالي ترتخي تلك الألياف والحبال العضلية، كما تعمل على ارتعاش الأطراف، وقد وُجد أن من أسرع الوسائل لتخفيض مادة (الأدرينالين) هو أن يُرش الجسم بالماء فيربط على القلب بتلك الحبال العضلية بانقباض العضلات، ويزول الارتخاء، كما تثبت الأقدام من ارتعاشها... وصدق الله القائل: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[2].

[ب] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر:

ومن آيات الله في هذه المعركة أن جعل كل فريق يرى

---

(١) أخرجه بمعناه الطبري بسند حسن عن ابن عباس، انظر التفسير الصحيح (٢/٣٨٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور عند الآية المذكورة.

(٢) سورة الأنفال، الآية: (١١).

عدد الفريق الآخر قليلاً، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن تتم هذه المعركة وينتصر الحق على الباطل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلّل الله المسلمين في أعين المشركين وقلّل المشركين في أعين المسلمين[2].

(ج) إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نظر إلى المشركين يوم بدر وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدعا الله سبحانه مادًا يديه مُستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، أن ينصره على المشركين قائلاً: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدًا»، وأتاه أبو بكر وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك

---

(1) سورة الأنفال الآية: (44).

(2) انظر فتح القدير للشوكاني عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: 48].

ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(1)(2).

فخرج النبي ﷺ وهو يثب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾(3)(4).

بل إنه ﷺ كان يحدد مواضع قتل المشركين، فيقول: «هذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدًا» ويضع يده على الأرض، «وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدًا» ويضع يده على الأرض، فكان الأمر كما قال ﷺ(5).

وأمدَّ الله المسلمين في تلك الغزوة بألف من الملائكة الكرام وأمرهم بالقتال مع المؤمنين وأوحى إليهم أن يُثبتوا المؤمنين، ووعد سبحانه أنه سيُلقي الرعب في قلوب

---

(1) سورة الأنفال، الآية: (٩).
(2) صحيح: رواه البخاري (٢٩١٥).
(3) سورة القمر، الآية: (٤٥).
(4) صحيح: رواه البخاري (٤٨٧٥).
(5) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٣).

الكافرين . . . قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط من فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيًا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه[3]، وشُقَّ وجهه، كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»[4].

---

(1) سورة الأنفال، الآية: (١٢).
(2) [صحيح]: رواه البخاري (٣٩٩٥).
(3) خطم أنفه: أصيب أنفه وضرب.
(4) [صحيح]: رواه مسلم (١٧٦٣).

وقال أبو داود المازني: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري[1].

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني! لقد أسرني رجل أجلح[2] من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق[3] ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم»[4].

وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم، بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أُحرق به[5].

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/450)، وابن هشام في السيرة وسنده حسن، وأخرجه ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران: 124].

(2) الأجلح: من انحسر شعره عن جانبي رأسه.

(3) الأبلق: ما فيه سواد وبياض.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة (7/356)، وأحمد (1/117).

(5) أخرجه البيهقي ويونس بن بكير في زيادات المغازي كما قال الحافظ في الفتح (7/314).

وانتهت المعركة بهزيمة المشركين فقُتل منهم سبعون، وأسر كذلك سبعون في وقت وجيز، ولله الحمد والمنة.

وقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟»، قال: «من أفضل المسلمين» قال: «وكذلك من شَهِد بدراً من الملائكة»[1].

(د) إلقاء النعاس على المؤمنين:

كان الصحابة على وجلٍ من قلتهم وكثرة عدوهم، فألقى الله عليهم النعاس أمنةً منه... قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[2] وكذلك حصل في معركة أحد، فقد قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مراراً، يسقط وآخذه[3].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم، كما قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ

---

(1) صحيح: رواه البخاري (٣٩٩٢).
(2) سورة الأنفال الآية (١١).
(3) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٨).

مع العسر يسرًا﴾[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان[2].

قتال الملائكة مع النبي ﷺ في معركة أحد:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد... يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام[3].

* * *

(1) سورة الشرح الآيتان: (٥، ٦).

(2) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/١٤٠) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١/٤١٩)، وسنده صحيح، انظر التفسير الصحيح (٢/٣٨٨).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

نصرة الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة في غزوة الأحزاب:

تجمع الأحزاب من الكفار لقتال النبي ﷺ، وكان عددهم نحوًا من عشرة آلاف، وتمالؤوا مع اليهود القاطنين في شرق المدينة على حرب النبي ﷺ وأصحابه، واشتد الحال على المسلمين الذين حفروا خندقًا بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريبًا من شهر وهم يحاصرون المدينة.

فدعا النبي ﷺ ربه أن ينصره على المتمالئين على الإسلام فقال: «اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[1].

فاستجاب الله دعاء رسوله ﷺ وأرسل على الأحزاب ريحًا شديدًا أقضت مضاجعهم، وجنودًا زلزلتهم مع ما ألقى الله بينهم من التخاذل فأجمعوا أمرهم على الرحيل وترك المدينة النبوية.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

وأنزل الله تعالى في كتابه ذكر هذه الحادثة، وذكر حال المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب فيها، وكيف تم النصر، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1].

والريح التي أرسلها الله على الأحزاب، هي ريح الصبا، والجنود هم الملائكة[2].

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: (٩ : ١٣).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري.

وفي الصحيح قال النبي ﷺ: «نُصرت بالصبا[1]، وأُهلكت عاد بالدَّبور[2]»[3].

أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم، والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله عليهم ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[4] أي لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»[5].

قال سليمان بن صرد رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول

---

(1) الصبا: ريح تهب من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.
(2) الدبور: ريح تهب من المغرب تقابل القبول وهي ريح الصبا.
(3) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).
(4) سورة الأحزاب، الآية (٢٥).
(5) متفق عليه: رواه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم»[1].

وقد تحقق ذلك فلم تُغزَ المدينة بعد ذلك، بل غزا النبي ﷺ كفار قريش وفتح مكة فيكون هذا الخبر أيضاً من دلائل النبوة لأنه إخبار بغيب المستقبل.

جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعاً عن النبي ﷺ

وفي يوم غزوة أُحد حدثت معجزة عجيبة فقد أرسل الله جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان دفاعاً عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد[2].

---

(١) الصحيح: رواه البخاري (٤١٠٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٦/٢٣٠٦).

معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق

وبدأ الصحابة في حفر الخندق وكان النبي ﷺ يشاركهم في الحفر.

وفي أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبي ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبي ﷺ إلا أنه ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثلثها وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام.. والله إني لأنظر إلى قصورها الحُمر الساعة».. ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثاني وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس.. والله إني لأُبصرَ قصر المدائن الأبيض».

ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن.. والله إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٣)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦٩)، وأبو يعلى (٣/ ٢٤٤)، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٩٧): إسناده صحيح.

تكثير الطعام في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وفي أثناء الحفر كان المسلمون يعانون من شدة الجوع فنظر جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فرأى آثار الجوع بادية على وجهه ﷺ فذهب جابر إلى زوجته وأمرها أن تذبح شاة وأن تُعد الطعام لرسول الله ﷺ فأطاعته وقالت له: لا تفضحني أمام رسول الله ﷺ فإن الطعام لا يكفي إلا لرسول الله ﷺ واثنين من أصحابه.

فذهب جابر وقال للنبي ﷺ سرًا: قد أعددنا لك طعامًا يا رسول الله.

فقام النبي ﷺ ونادى على كل الصحابة وقال لهم: «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا - وكانوا ألف رجل -».

فوقف جابر يفكر: كيف سيأكل ألف رجل من طعام لا يكفي إلا لثلاثة.

فإذا بالنبي ﷺ يقول له: «لا تخبزوا طعامكم حتى أجيء».

فذهب جابر ومعه النبي ﷺ وأصحابه إلى البيت.. فلما رأت زوجة جابر أن النبي ﷺ قد جاء ومعه الجيش كله أخذت تؤنب زوجها جابر.. فقال لها: لقد دعاهم النبي ﷺ وهو يعلم ما عندنا من الطعام.

فقالت: لا عليك.. ما دام النبي ﷺ هو الذي دعاهم.

فجاء النبي ﷺ وبصق على العجين وسمَّى باسم الله وبارك ثم قال لهم: «الآن اخبزوا عجينكم»[1].

فأعدوا الطعام... وأخذ جابر يدعو الصحابة عشراً عشراً.. فيأكلون وما يزال الطعام كما هو... حتى أكل ألف رجل ولم ينقص من الطعام شيء... وأكل النبي ﷺ ثم أعطى الطعام لجابر وأمره أن يأكل هو وزوجته وأن يهدوا لجيرانهم... كل ذلك وما زال الطعام كما هو ببركة النبي ﷺ.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

البرد يذهب عن حذيفة بدعاء النبى ﷺ

وفى غـزوة الخندق (الأحـــزاب) أراد النبى ﷺ أن يبعث واحداً من أصحابه ﷺ ليدخل معسكر العدو ليأتيه بخبرهم... وكان البرد قد بلغ مبلغًا عظيماً.

يقول حذيفة رضي الله عنه: «.... استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عليَّ وما عليَّ جُنة وقاية من العدو ولا من البرد إلا مِرْط[1] لامرأتى ما يجاوز ركبتى قال: فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتى فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة فقال: «حذيفة!» فتقاصرتُ للأرض[2]، فقلت: بلى يا رسول الله... كراهية أن أقوم فقمت فقال: «إنه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم» قال: وأنا من أشد الناس فَزَعًا وأشدهم قُرًّا[3] قال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته» قال: فوالله ما خلق الله فزعًا

---

(١) أى كساء.

(٢) حتى لا يخرج فى هذا البرد ليأتى بخبر العدو

(٣) القر: شدة البرد.

ولا قُرًّا في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد شيئًا قال: فلما وليت قال: «يا حُذيفة لا تُحدثن في القوم شيئًا حتى تأتيني»[1] قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم ترقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهمًا من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تُحدثن فيهم شيئًا حتى تأتيني» فأمسكت... قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يُصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القُر[2]، وجعلت أُقرقف[3]......[4].

* * *

(١) أي لا تقاتل أحدًا حتى لا يشعر أحدٌ بوجودك.
(٢) أي شعرت بالبرد مرة أخرى
(٣) أي: أرتعش من شدة البرد.
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٨)

معجزات النبى ﷺ فى الحديبية

بُعث الرسول ﷺ فى بيئة صحراوية جافة، وكان هو وأصحابه يخرجون كثيراً للغزوات دفاعًا عن الدين، وكانوا يتعرضون لقلة الماء أو فقده فيعطشون ويحتاجون الماء أيضًا للطهارة للعبادة، فكان الله سبحانه يُرى الصحابة خوارق تكثير الماء القليل على يد النبى ﷺ .

ولما نزل المسلمون عند بئر الحديبية وكان الماء قليلاً فأخذ الصحابة يشتكون من شدة العطش فدعا النبى ﷺ بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبَّه فى البئر ففاضت بالماء. . . فشرب الناس وتوضؤوا.

* بل وجاء فى رواية أخرى أنه لما عطش الناس فى الحديبية وضع النبى ﷺ يديه فى إناء وسمَّى باسم الله ودعا فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشرب الناس وتوضؤوا.

* وها هى تلك الصور كما وردت فى الأحاديث النبوية الصحيحة:

عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناسُ يوم الحديبية ورسُولُ الله ﷺ بين يديه ركوةٌ [1] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكُم» قالُوا: يا رسُول الله، ليس عندنا ماءٌ نتوضأُ به ولا نشربُ إلا ما فى ركوتك قال: فوضع النبىُّ ﷺ يدهُ فى الركوة فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثال العُيون.

قال فشربنا وتوضأنا فقُلتُ لجابر: كم كُنتُم يومئذ قال: لو كُنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة [2].

وعن البراء رضي الله عنه قال: كُنا يوم الحديبية أربع عشرة مائةً، والحديبيةُ بئرٌ فنزحناها حتى لم نترُك فيها قطرة فجلس النبىُّ ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجَّ فى البئر، فمكثنا غير بعيد ثُم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبُنا [3].



(1) ركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

(3) صحيح: رواه البخارى (٣٥٧٧).

ذراع الشاة تخبر النبي ﷺ بأنها مسمومة

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم - شاة مسمومة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان الله لِيُسلطك على ذاك»، قال: قالوا: ألا نقتلها، قال: لا فما زلت أعرفها في لهوات(1) رسول الله ﷺ»(2).

وفي رواية أن الذي أهدى الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وقد سألت: أي عضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت

---

(1) لهوات: جمع لهات، اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، كأنه بقي للسم علامة، سواداً وغيره.

(2) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة ثم جاءت بها، فأما النبي ﷺ فأكل منها شيئًا فلم يسغها وأما بشر بن البراء ابن معـرور فأساغـها، وقال النبي ﷺ: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت»[1].

النبي ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة في سرية مؤتة

لما أرسل النبي ﷺ جيـشـًا إلى سرية مؤتة وأمّر عليهم ثلاثة وهـم: زيد بن حارثة وجعـفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﷺ وكانت مؤتـة على مسافة بعيدة من المدينة.

فلما قُتل الثلاثة وقف النبي ﷺ يخبر أصحابه بخبر موتهم دون أن يخبره أحد من البشـر.. فقد أخبره جبريل - عليه السلام - بذلك.

---

(1) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (19/ 70)، وعبد الرزاق في مصنفه ([illegible])، وصححه العلامة الألباني في فقه السيرة (1/ 347).

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذ جعفر فأُصيب ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[1].

النبي ﷺ يشير بعصاه فتسقط الأصنام

ولما كان يوم فتح مكة وجد النبي ﷺ ثلاثمائة وستين صنمًا فأخذ يشير بعصاه إلى كل صنم وأخذت الأصنام تسقط بين يديه ﷺ.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنمًا فأشار إلى كل صنم بعصا وقال: ﴿جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا﴾[2] فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.
(٢) سورة الإسراء، الآية: (٨١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم، فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى الصنم، وهو يهوي حتى مر عليها كلها[1].

معجزة النبي ﷺ في غزوة حُنين

ولما أُعجب المسلمون بكثرتهم في غزوة حُنين وهُزموا في بداية الغزوة حتى تحول الأمر بعد ذلك بفضل الله -جل وعلا- إلى نصر كبير... كان النبي ﷺ في تلك اللحظة التي سبقت النصر قد أخذ قبضة من تراب الأرض ثم نظر إلى المشركين وقال: «شاهت الوجوه» (أي: قَبُحت تلك الوجوه) ثم رمى قبضة التراب في وجوههم حتى دخل التراب في عيون المشركين جميعاً فرجعوا منهزمين بفضل الله -جل وعلا-.

---

(1) رواه البيهقي في الدلائل (5/ 72) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/ 176): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

* وها هي القصة كاملة من خلال هذا الحديث:

أعجب المسلمون بكثرتهم في غزوة حنين، فلم يُغن عنهم ذلك شيئًا عندما باغتهم العدو بالهجوم، فانهزموا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولم يثبت إلا النبي ﷺ مع قلة من الصحابة، قال سلمة بن الأكوع: ومررت على رسول الله ﷺ منهزمًا [1] وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: لقد رأى ابن الأكوع فزعًا، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة وفي رواية أنه دعا حينئذ واستنصر وقال: «**اللهم نَزِّل نصرك**»[2] ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: «**شاهت**[3] **الوجوه**»، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم

---

(١) منهزمًا: يعني سلمة، فالكلمة حال لسلمة ؓ؛ لأن النبي ﷺ ثبت كما تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٧).

(٣) قبحت.

بين المسلمين[1]. وفي رواية أنه أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً وأمرهم مُدبراً[2].

وقد سجل القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[3].

تكثير الطعام في تبوك

بُعث النبي ﷺ في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيَّده الله به من المعجزات

---

(1) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٧).
(2) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٥).
(3) سورة التوبة، الآيتان: (٢٥-٢٦).

تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيستغيث هو وأصحابه بقدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية، التي يحتاجون فيها للطعام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نُقلت إلينا بأصحِّ طرق الرواية... ونبين طرفًا من هذه المعجزات.

خوارق ازدياد الطعام:

فمن معجزاته ﷺ الخارقة للعادة، أن يكثر الله الطعام القليل الذي لا يكفي إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه صلى الله عليه وآله وسلم يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك في مواقف متعددة.

ومن خوارق تكثير الطعام ليكفي الآلاف من أتباعه ﷺ ما حدث في غزوة تبوك، حيث أصاب

المسلمين فيها مجاعة، فقال الصحابة: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [1] فأكلنا وادَّهنَّا. فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا». قال فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك [2].

فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال فجعل الرجل يجيء بكف ذرة قال: ويجيء الآخر بكف تمر قال ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا

---

(1) نواضحنا: الناضح هو الدابة التي يستقى عليها، والمقصود هنا الإبل.
(2) قال النووي: فيه محذوف تقديره يجعل في ذلك بركة أو خيرًا أو نحو ذلك، شرح صحيح مسلم (1/172).

يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة»[1].

البركة في الطعام

وكانت هناك صورٌ كثيرةٌ لبركة النبي ﷺ في الطعام.. منها:

١- إطعامه صلى الله عليه وآله وسلم مائة وثلاثين رجلا من شاة:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطعم مائة وثلاثين رجلاً من شاة وصاع طعام، وأعطى كل واحد منهم قطعة من سواد بطنها (الكبد)، فشبعوا جميعًا، وحملوا ما بقي من الطعام معهم[2].

البركة في حيسة[3] أم سليم[4]:

أطعم الرسول ﷺ عند زواجه بزينب زهاء[5] ثلاث

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧).
(٢) بينات الرسول ومعجزاته / للشيخ عبد المجيد الزنداني (ص ٢٢٩ ، [illegible]).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) الحيس: تمر وأقط وسمن [illegible].
(٥) زهاء: قدر.

مائة رجل من حيسة صنعتها له أم سليم، وعندما رفع أنس الحيسة بعد أن أكلوا جميعاً، قال: فما أدري حين وُضعت كان أكثر أم حين رُفعت؟![1].

إطعام سبعين أو ثمانين رجلاً من أقراص أم سليم رضي الله عنها:

قدّمت أم سليم رضي الله عنها أقراصاً قليلة من شعير وأدمته بسمن، فدعا رسول الله بالبركة، وأكل من هذه الأقراص سبعون أو ثمانون رجلاً حتى شبعوا[2].

تكثير شطر وسق[3] شعير ببركته صلى الله عليه وآله وسلم:

عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ فقال: «لو لم تكِلْهُ

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٩٣)، ومسلم (١٤٢٨).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(3) الوسق: مكيلة معلومة تساوي ستين صاعاً، والصاع أربعة أمداد، والمد ملء كفي الرجل معتدل الكف.

لأكلتم منه ولقام لكم»[1].

• ظهور بركته في شطر شعير لزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي فأكلت منه حتى طال عليَّ فكِلته ففني[2].

• قصة تمرات أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله، ادع الله فيهن بالبركة، فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: «خذهن واجعلهن في مزودك هذا» أو «في هذا المزود[3] كلما أردت أن تأخذ منه شيئًا فأدخل فيه يدك فخُذه ولا تنثره نثرًا»، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قُتل

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨١).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).

(3) المزود: وعاء الزاد.

عثمان فإنه النفع (1).

• قصة الثريد التي كانت تمد من السماء:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بقصعة فيها ثريدًا[2] قال: فأكل وأكل القوم فلم يزل يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبوه قال: فقال له رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعام؟! قال: أما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تُمَدُّ من السماء (3).

• إطعام عمر رضي الله عنه أربعمائة من مزينة من تمر قليل:

عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله ﷺ في أربع مئة من مزينة فأمرنا رسول الله ﷺ

---

(1) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٣٩) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(2) الثريد: [illegible]

(3) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٢٥) وأحمد (٥/ ١٢) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

بأمره فقال بعض القوم يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده فقال النبي ﷺ لعمر: «زوِّدهم» فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر[1] وما أراها تغني عنهم شيئًا فقال: «انطلق فزودهم» فانطلق بنا إلى عُلِّيَّة[2] له فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق[3] فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفتُّ وما أفقد موضع تمرة وقد احتمل منه أربعمائة رجل[4].

* تكثير السمن لأم مالك:

عن جابر أن أم مالك كانت تُهدي للنبي ﷺ في عُكة[5] لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد

---

(١) الفضل من الشيء: ما بقي منه.

(٢) عُلِّيَّة: غرفة في الطبقة الثانية من الدار، أو الثالثة أو ما فوقها.

(٣) البكر الأورق: الجمل الذي في لونه بياض إلى سواد.

(٤) أحمد (٥/ ٤٤٥)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٤٤٨-٤٤٩) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٦٢) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٠٤): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) العكة: إناء صغير للسمن.

فيه سمنًا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي ﷺ فقال: «عصرتيها» قالت: نعم. قال: «لو تركتيها ما زال قائمًا»[1].

● تكثير التمر لجابر بن عبد الله رضي الله عنه:

كان والد جابر قد ترك دَيْنًا وطلب من جابر أن يؤدى عنه هذا الدَّين بعد موته... وكان التمر الذى عند جابر لا يكفى لقضاء الدين فجاء النبى ﷺ ومشى فى المكان الذى فيه التمر فامتلأ المكان ببركة النبى ﷺ فلما جاء اليهودى الذى يداين والد جابر قام جابر ووزن له من ذلك التمر القليل فأوفاه حقه وفاض منه الكثير والكثير.

● وها هي القصة كاملة نذكرها من خلال هذا الحديث:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: إن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقًا[2] لرجل من اليهود فاستنظره[3] جابر فأبى أن

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٠).

(2) وسقًا: الوسق مقدار معلوم من الكيل يساوى ستين صاعًا، والصاع يساوى أربعة أمداد، والمد ملء اليدين من الرجل المعتدل الكف.

(3) أى طلب منه أن يؤجل موعد سداد الدَّين.

يُنظره فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه فجاء رسول الله ﷺ وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى اليهودي - وكان ثمر جابر لا يكفي لقضاء الدَّين فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر «جُذَّ له(١) فأوفِ له الذي له» فجدَّه بعد ما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف بشره، فقال النبي ﷺ: «أشهد أني رسول الله»، وقال: «أخبر بذلك ابن الخطاب»، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها(٢).

* * *

(١) جُذَّ هنا بمعنى القطع.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٣٩٦).

بركة النبى ﷺ كانت سببا فى عتق سلمان الفارسى

لما كاتب سلمان الفارسى رضي الله عنه ذلك الرجل الذى كان يملكه على أن يدفع له ثلاثمائة ودية (شتلة) وأربعين أوقية من الذهب .. أخذ النبى ﷺ يدعو أصحابه ليساعدوا سلمان حتى يصبح حراً.

فجاء هذا بثلاثين ودية (شتلة) وهذا بعشرين .. وهذا .. وهذا .. حتى جمع ثلاثمائة ودية.

فطلب منه النبى ﷺ أن يحفر لهم ولا يضع أى واحدة حتى يضعها النبى ﷺ بيده ... فحفر لها وجاء النبى ﷺ ووضعهم جميعاً فما ماتت أى ودية (شتلة) ثم أعطاه النبى ﷺ قطعة من الذهب فى حجم البيضة ليؤدى أربعين أوقية من الذهب ويصبح حراً .. فتبسم سلمان وقال له: يا رسول الله ماذا تصنع تلك القطعة الصغيرة من الذهب؟!.

فقال له ﷺ : «خذها فإن الله سيؤدي بها عنك»[1] .

فأخذها سلمان فوزنها لهم فبلغت أربعين أوقية ذهب رغم صغر حجمها فأُعتق سلمان الفارسي وأصبح حرًا ببركة النبي ﷺ .

السماء تمطر والماء ينهمر من عين تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة وكانت في وقت عُسرة من الناس وجدب في البلاد. . . وبدأت الثمار تطيب في هذا الوقت فكان الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الخروج للغزو في هذا الوقت لأنه كان وقت جني الثمار.

. وكانت الأخبار قد وصلت إلى النبي ﷺ أن الرومان قد قامت بإعداد جيشها للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين.

. وعاش المسلمون لحظات عصيبة فقد كانوا لا يسمعون صوتًا غير معتاد إلا ويظنونه زحف الرومان نحو المدينة المنورة. . وهذا يدل على خطورة الموقف الذي كان

(1) حسن: أخرجه أحمد (٥ / ٤٤١ - ٤٤٤) وابن سعد في «الطبقات» (٤ / ٥٣ - ٥٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢/ ٥٦٠).

يواجهه المسلمون بالنسبة إلى الرومان.

ولذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالتجهيز لغزو الرومان في ديارهم قبل أن يأتوا إلى المدينة المنورة.

النبي ﷺ يدعو والسماء تمطر بإذن الله

وفي الطريق عطش الصحابة عطشًا شديدًا حتى ظنوا أن رقابهم ستنقطع من شدة العطش.. حتى إن أحدهم من شدة العطش كان يذبح بعيره ويعصر فرثه ليشربه ويجعل ما بقي على كبده.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرًا فادع الله لنا.

قال: «أتحب ذلك؟».

قال: نعم.

فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أمطرت السماء فملأوا ما معهم وشربوا.. ثم نظروا إلى المكان الذي نزل فيه المطر

فوجدوا أن المطر لم يجاوز المكان الذى كانوا فيه.

• **وهنا قال أحد المنافقين منكرا هذه المعجزة:** سحابة مارة.

أى أنه يريد أن يقول أن دعاء النبى ﷺ لم يكن سببًا فى نزول المطر بل إن السحابة كانت تمر مصادفة أثناء الدعاء فأمطرت.

• وفى الحقيقة أن هذه الغزوة كانت غزوة العسرة فعلا فقد كانت عُسرة فى قلة الدواب التى يركبونها فقد كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير واحد يركبه كل واحد منهم مسافة ثم يعطيه لأخيه...

وكانت عُسرة فى الطعام والماء فقد كان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر يخرجون وليس معهم إلا بعض التمرات فإذا بلغ الجوع من أحدهم مبلغًا عظيمًا أخذ تمرة ووضعها فى فمه حتى يجد طعمها ثم يعطيها لأخيه ليمصها... وهكذا عاش هؤلاء الصحابة على الصدق والصبر واليقين.

الماء ينهمر من عين تبوك

وفي الطريق قال لهم النبي ﷺ: «إنكم ستأتون غداً عين تبوك فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي».

فلما وصلوا إلى عين تبوك وجدوا ماءها قليلاً لا يكفي أحداً.

فأمرهم النبي ﷺ أن يغرفوا بأيديهم بعض الماء وأن يأتوا إليه بذلك الماء فغرفوا الماء في إناء وجاءوا به إلى النبي ﷺ فغسل فيه يديه ووجهه ثم أعاده في عين تبوك فانهمرت العين بالماء حتى استقى الناس جميعاً[1].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٠٦) كتاب الفضائل.

تكثير ماء المزادتين

نزل النبي ﷺ وأصحابه في مكان فأصابهم العطش ولم يجدوا ماءً فوجدوا امرأة معها ماء فجاؤوا بها إلى النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ من الماء الذي مع تلك المرأة وصبَّه في إناء ودعا أصحابه ليشربوا ويدخروا من الماء ما يشاؤون ثم جمع لها النبي ﷺ وأصحابه الكثير من العجوة والدقيق هدية لها... وكانت المفاجأة الكبرى أنها وجدت ماءها كما هو لم ينقص منه شيء.

وكان النبي ﷺ وأصحابه بعد ذلك يغزون القرى التي حولها ولا يغزون قريتها فعرضت المرأة على قومها أن يُسلموا فأسلموا جميعاً.

• وها هي القصة كاملة كما وردت في السنَّة

عن عمران قال: كُنَّا في سفر مع النبي ﷺ (فذكر الحديث إلى قوله): فاشتكى إليه الناسُ من العطش، فنزل فدعا رجلاً من أصحابه ودعا عليًا فقال اذهبا فابتغيا الماء،

فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين[1] من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خُلُوف[2]. قالا لها: انطلقي إذًا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ، قالت: الذي يُقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي، فجاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث، قال: فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبيُّ ﷺ بإناء، ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكأ[3] أفواههما وأطلق العزالي[4] ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، ... وهي قائمةٌ تنظُرُ إلى ما يُفعلُ بمائها، وايم الله لقد أقلع عنها وإنه ليُخيلُ إلينا أنها أشدُّ ملأةً منها حين ابتدأ فيها، فقال النبيُّ ﷺ: «اجمعوا لها» فجمعوا

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

لها من بين عجوةٍ ودقيقةٍ وسويقةٍ[1] حتى جمعُوا لها طعامًا فجعلُوه في ثوب وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: تعلمين ما رزِئنا[2] من مائك شيئًا ولكن الله هو الذي أسقانا.

وفي صحيح مسلم قال الراوي عمران بن حصين رضي الله عنه: فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاشى حتى روينا وملأنا كل قِربة معنا وإداوة فأتت أهلها وقد احتبست عنهم قالوا: ما حبسك يا فُلانة؟ قالت: العجبُ، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يُقالُ لهُ الصابئُ؟ ففعل كذا وكذا، فوالله إنهُ لأسحر الناس من بين هذه وهذه، وقالت بإصبعيها الوُسطى والسبابة فرفعتهُما إلى السماء تعني: السماء والأرض أو إنهُ لرسُولُ الله حقًا. فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرُون على من حولها من المُشركين ولا يُصيبُون الصرم[3] الذي هي منهُ، فقالت يومًا لقومها: ما أرى[4] أن

---

(١) السويق: طعام يتخذ من مدقوقة الحنطة والشعير.

(٢) ما رزئنا: ما نقصنا.

(٣) الصرم: القوم الذي هي منهم.

(٤) أي: الذي أرى وأعتقد.

هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام؟" فأطاعوها فدخلوا في الإسلام"[1].

البركة في اللبن

لقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه فقيرًا لأنه كان متفرغًا لطلب العلم وكان ملازمًا لرسول الله ﷺ فلم يكن عنده مهنة يعمل بها.

وفي يوم من الأيام اشتد به الجوع حتى أنه ربط حجرًا على بطنه من شدة الجوع وكان أبو هريرة يستحي أن يسأل الناس شيئًا.. فأراد أن يحتال حيلة جميلة لعله يفوز بالطعام عند أحد الصحابة.

فذهب إلى أبي بكر يسأله عن آية في كتاب الله لعله يقول له: هيا نجلس في البيت ونأكل سويًا ثم أحدثك عن هذه الآية.. لكن أبا بكر لم يعرف مقصد أبي هريرة.

فذهب أبو هريرة إلى عمر بن الخطاب.. فحدث نفس الشيء.

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (344)، ومسلم (682).

إلى أن لقيه النبي ﷺ ففهم ما يريد فطلب منه أن يذهب معه إلى البيت حيث شرب عنده لبنًا ليسدَّ جوعه.

ولكن ما هي تفاصيل القصة.. هذا ما سنعرفه من خلال هذا الحديث الشريف.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: آلله الذى لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله؟ ما سألته إلا ليستتبعني فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية في كتاب الله؟ ما سألته إلا ليستتبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «يا أبا هرٍّ»، قلت: لبَّيك يا رسول الله، قال: «الحقْ»، ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأُذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح، فقال: «من أين هذا اللبن؟»، قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «أبا هرٍّ»، قلت:

لبيك يا رسول الله، قال: «الحقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعهم لي» قال: وأهل الصُّفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هرٍّ»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم». فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال: «أبا هرٍّ»

قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت، فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا، قال: «فأرني»، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمَّى وشرب الفضلة»(1).

الجمل يسجد للحبيب ﷺ

وفي يوم من الأيام كان هناك أهل بيت من الأنصار عندهم جمل يسقون عليه أرضهم فأصبح الجمل مفترسًا لا ينقاد لهم فذهبوا إلى النبي ﷺ يشكون إليه حالهم وأنهم قد أجدبت أرضهم بسبب ذلك الجمل.

فذهب معهم النبي ﷺ وكان الصحابة يخافون عليه من ذلك الجمل ولكن النبي ﷺ أخبرهم أنه لن يصيبه بسوء.. واقترب من الجمل فجاء الجمل إليه مسرعًا حتى

(1) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) الرقاق، والترمذي (٢٤٧٩) صفة القيامة.

سجد بين يديه فقام النبي ﷺ وأخذ بناصيته حتى أدخله في العمل مرة أخرى..

• وها هي القصة كاملة نذكرها من خلال هذا الحديث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه (أي: يسقون عليه) وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "قوموا" فقاموا، فدخل الحائط.. والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكَلِب[1] وإنَّا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس عليَّ منه بأس». فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول

---

(1) أي: الكلب المفترس.

الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدَّت حقه»[1].

الجمل يشتكى إلى رسول الله ﷺ

وفى يوم من الأيام دخل النبى ﷺ بستانًا لرجل من الأنصار فرأى جملاً فلما رآه الجمل اقترب من النبى ﷺ وذرفت عيناه الدموع فحزن النبى ﷺ ومسح وجهه بكل رحمة وحنان وقال: «أين صاحب هذا الجمل؟».

فجاء شاب من الأنصار وقال: أنا يا رسول الله.

فقال له ﷺ: «ألا تتقى الله فى هذا الجمل فإنه شكا إلىَّ

(١) رواه أحمد (٣/ ١٥٩) وقال ابن كثير (٦/ ١٤٩): إسناده جيد.

أنك تُجيعه وتُتعبه في العمل».

* ومع اللمسة الجمالية كما ذكرنا من خلال هذا الحديث

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسولُ الله ﷺ خلفهُ ذات يومٍ... فدخل حائطًا (بستانًا) لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناهُ فأتاهُ النبيُّ ﷺ فمسح ذفراهُ[1] فسكت، فقال: «من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجملُ؟» فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك اللهُ إياها، فإنهُ شكا إليَّ أنك تُجيعهُ وتُدئبهُ»[2][3].

✻ ✻ ✻

(١) الذفرى: هو العظم الشاخص خلف الأذن.
(٢) تُدئبه: أي تُتعبه تعب العمل فتتعبه.
(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٢٤٨٤).

الوحش يوقر النبي ﷺ ويحترمه

كان هناك حيوان لآل رسول الله ﷺ .. فكان ذلك الوحش يلعب ويجري في البيت إذا خرج رسول الله ﷺ ... فإذا عاد النبي ﷺ إلى البيت لم يتحرك وسكن في مكانه.

ففي الحديث الذي رواه أحمد بإسناد حسن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان لآل رسول الله ﷺ وحش (١) فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب في البيت فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه.

❋ ❋ ❋

---

(١) الوحش: هو حيوان البر الوحشي مثل حمار الوحشي والبقر الوحشي.
قال الشيخ مصطفى العدوي: تعبير الوحش كل ما لا يستأنس من دواب البر، ولكن الذي يتبادر إلى الذهن هنا أنه القط ... والله أعلم.

الذئب يشهد للحبيب ﷺ بالنبوة والرسالة

كان هناك رجل يرعى الغنم فجاء الذئب فخطف شاة فأسرع الراعى خلفه حتى أدركه وأخذ منه الشاة... فجلس الذئب على الأرض وقال للراعى: ألا تتقى الله تأخذ منى رزقًا ساقه الله إلىَّ.

فتعجب الراعى وقال: يا عجبى.. ذئب يكلمنى كلام الإنس.

فقال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب (المدينة المنورة) يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

فذهب الراعى إلى النبى ﷺ وأخبره بما حدث.

فقال النبى ﷺ: «صدق.. والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلم السِّباعُ الإنس».

• وها هى القصة كاملة من خلال هذا الحديث:

عن أبى سعيد الخُدرى رضي الله عنه قال: عدا الذئبُ على شاة

فأخذها، فطلبهُ الراعي فانتزعها منهُ، فأقعى[1] الذئبُ على ذَنَبِه، قال: ألا تتقي الله تنزعُ مني رزقًا ساقه الله إليّ! فقال يا عجبي! ذئبٌ مُقعٍ على ذَنَبِه يكلمُني كلام الإنس!! فقال الذئبُ: ألا أُخبرُكَ بأعجب من ذلك؟ مُحمدٌ ﷺ بيثرب يُخبرُ الناس بأنباء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يسُوقُ غنمهُ حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسُول الله ﷺ فأخبرهُ، فأمر رسول الله ﷺ فنُودي الصلاةُ جامعةً، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهُم، فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفسي بيده لا تقُومُ الساعةُ حتى يُكلم السباعُ الإنس ويُكلم الرجُلَ عذبةُ[2] سوطه وشراكُ نعله[3] ويُخبرهُ فخذُهُ بما أحدث أهلُهُ بعدهُ»[4].

❊ ❊ ❊

---

(١) أقعى: جلس مفترشًا رجليه ناصبًا يديه.

(٢) عذبة السوط: طرفه.

(٣) الشراك: هو سير النعل الذي على ظهر القدم.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٤٥): وهذا إسناد على شرط الصحيح.

ظهور البركة في جمل جابر رضي الله عنه

وفي إحدى الغزوات خرج جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مع النبي ﷺ ولكنه كان يعاني من مشكلة كبيرة ألا وهي: أن جمله تعب وأصبح بطيئًا جدًا.. فحزن جابر حزنًا شديدًا لذلك.

فأقبل عليه النبي ﷺ وقال له: **«ما شأنك يا جابر؟»**.

قال جابر: تعب جملي وأصبح بطيئًا فتخلفت عن الناس.

فنزل النبي ﷺ وغمز جمل جابر بعصا معوجة ثم قال لجابر: «اركب».

فركب جابر جمله فوجده سريعًا حتى أنه كان يمنعه من الجري حتى لا يسبق جمل رسول الله ﷺ.

• وها هي القصة من خلال هذا الحديث:

ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي وأعيا فأتى عليَّ النبي ﷺ فقال: «جابر؟» فقلت: نعم. قال:

«ما شأنك؟» قلت: أبطأ عليَّ جملي وأعيا[1] فتخلفت فنزل يحجنه بمحجنه[2] ثم قال: «اركب» فركبته فلقد رأيته أكفُّه[3] عن رسول الله ﷺ[4].

قلت: ولا عجب في ذلك فالكون كله يعرف أنه رسول الله ﷺ إلا عُصاة الإنس والجن.

ظهور بركة النبي ﷺ في فرس أبي طلحة

وفي يومٍ من الأيام حدث شيء في المدينة أفزع أهلها فزعًا شديدًا فقام النبي ﷺ وركب فرسًا لأبي طلحة كان بطيئًا جدًا... وإذا بالفرس يجري بسرعة كبيرة والناس خلفه لا يستطيع أحدهم أن يدرك ذلك الفرس... فتبسم النبي ﷺ وقال: «لا تفزعوا إنه لبحر...» أي أنه سريع

---

(١) أعيا: أي تعب.

(٢) أي يغمزه بالمحجنة وهي العصا المعوجة.

(٣) أكفه: أي أمنعه من أن يسبق رسول الله ﷺ، فبعد أن كان بطيئًا أصبح سريعًا لدرجة أني أمنعه من أن يسبق جمل رسول الله ﷺ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥).

الجري . . . ولم يستطع بعد ذلك أي فرس أن يسبق فرس أبي طلحة بعدما ركبه النبي ﷺ .

- وها هي القصة كاملة من خلال هذا الحديث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فزع الناس، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة بطيئًا ثمَّ خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ﷺ .

فقال: «لن تُراعوا إنه لبحر»[1] ، قال: فوالله ما سُبِق بعد ذلك اليوم[2] .

نزول اللبن من ضرع شاة لا ينزل لبنا

وفي يوم من الأيام مرَّ النبي ﷺ هو وأبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان يعمل راعيًا للغنم عند رجلٍ كافرٍ اسمه (عقبة بن أبي مُعيط) فسأله النبي ﷺ : «يا غلام هل عندك لبن؟».

فقال له ابن مسعود: نعم ولكني غلام مؤتمن.

---

(1) البحر من الخيل: هو الواسع الجري الشديد العدو.
(2) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٣) .

فطلب منه النبى ﷺ أن يأتيه بشاة لم تبلغ ولم ينزل من ضرعها لبن.

فجاءه ابن مسعود بتلك الشاة فوضع النبى ﷺ يده المباركة على ضرع تلك الشاة وذكر الله فنزل من ضرعها لبن كثير فشرب النبى ﷺ وسقى أبا بكر ثم أمر النبى ﷺ ضرع الشاة أن يُمسك عن اللبن فأمسك الضرع..

فتعجب عبد الله بن مسعود مما فعله النبى ﷺ.

• وها هى القصة كاملة نذكرها من خلال هذا الحديث:

عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبى مُعيط، فمرَّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: «يا غلام! هل من لبن؟» قلت: نعم، ولكنى مؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟» - أى لم تبلغ ولا تُدر لبنًا - فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلب فى إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «اقْلُص» - أى انضم وأمسك عن إنزال اللبن - فقلص. قال: ثم أتيته

بعد هذا، فقلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول. فمسح رأسي، وقال: «يرحمك الله إنك غُليمٌ مُعلَّم»[1].

وفي رواية قال ابن مسعود: فأتيته بعد ذلك فقلت علمني من هذا القول: قال: «إنك غلام مُعلَّم» فأخذت من فيه - فمه - سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[2].

كان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه

وكان من معجزات النبي ﷺ أنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا. ثم انصرف فقال: «يا فلان! ألا تُحسنُ صلاتك؟ ألا ينظرُ المُصلي إذا صلى كيف يُصلي؟ فإنما يُصلي لنفسه. إني والله

(1) قال الأرناؤوط: إسناده حسن، أخرجه أحمد (1/379) والفسوي في المعرفة والتاريخ (2/537).

(2) قال الأرناؤوط: رواه ابن سعد في الطبقات (3/111) وأحمد (1/462) وأبو نعيم في الحلية (1/125) وإسناده حسن.

لأبصر من ورائى كما أبصرُ من بين يدى»[1].

وعن أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «أيها الناس! إنى إمامكم، فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود، ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإنى أراكم أمامى ومن خلفى»[2].

الطعام والحصى يسبح فى يد النبى ﷺ

لقد كان الصحابة يسمعون صوت الطعام وهو يُسبح فى يد النبى ﷺ.

وكانوا أيضًا يسمعون صوت تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقلَّ الماء، فقال: «اطلبوا فضلة من ماء»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «حى

(1) رواه مسلم (423) كتاب الصلاة.

(2) رواه مسلم (426) كتاب الصلاة.

على الطهور المبارك، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[1].

• وفي رواية أنه قال: «كنا نسمع صوت تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ».

شهادة الشجر برسالة النبي ﷺ وطاعته لأمره

ولقد حدثت معجزات عجيبة للنبي ﷺ مع الشجر وسأذكر لكم بعض تلك المعجزات.

• شجرة تخبر النبي ﷺ باستماع الجن إليه:

ففي الليلة التي ذهب فيها الجن ليستمع إلى القرآن من فم النبي ﷺ.. كانت تلك الشجرة هي التي أخبرت النبي ﷺ بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩) الوضوء، ومسلم (٢٢٧٩) الفضائل.

ففي الحديث الذي رواه البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الذي أخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه هي شجرة... فقد ساق البخاري بإسناده إلى معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقاً: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك - يعني: عبد الله بن مسعود - أنه آذنت بهم شجرة.

- شجرة تشهد للنبي ﷺ بالرسالة:

ففي يوم من الأيام لقي النبي ﷺ رجلاً أعرابياً وعرض عليه الإسلام فطلب الأعرابي من النبي ﷺ من يشهد له بذلك.. فإذا بالنبي ﷺ يدعو شجرة بعيدة فجاءت إلى النبي ﷺ تشق الأرض شقاً حتى قامت بين يدي النبي ﷺ واستشهدها ثلاث مرات فشهدت له بالرسالة.. ثم أمرها النبي ﷺ فعادت حيث كانت.

- وها هو الحديث الذي يحكي لنا تلك القصة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في

سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله: «أين تريد؟»، قال: إلى أهلي. قال: «هل لك إلى خير؟» قال: ما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله».

قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخدّ الأرض خداً[1] فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم أنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، فقال: إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك[2].

• النبي ﷺ يأمر غصناً فيطيع أمره:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك نبي؟!، قال: «إن دعوتُ هذا العذق[3] من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟» فجعل ينزل من النخلة

---

(1) [illegible] الأرض شقاً.

(2) رواه البيهقي في الدلائل (٦/١٤) والحاكم (٢/٦٢٠) وقال ابن كثير: [illegible]

(3) العذق في النخلة: غصنها الذي يكون فيه الرطب، كعنقود العنب.

حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: «ارجع»، فعاد فأسلم الأعرابي»[1].

* إنقياد شجرتين للنبي ﷺ :

عن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت قال: خرجتُ أنا وأبي نطلُبُ العلم في هذا الحي من الأنصار........ فذكر حديثا عن جابر رضي الله عنه إلى قوله: سرنا مع رسُول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح[2] فذهب رسُولُ الله ﷺ يقضي حاجتهُ فأتبعتهُ بإداوة[3] من ماء، فنظر رسُول الله ﷺ فلم يرَ شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسُولُ الله ﷺ إلى إحداهُما فأخذ بغُصن من أغصانها فقال: «انقادي عليّ بإذن الله»، فانقادت معهُ كالبعير المخشُوش[4] الذي يصانع قائدهُ حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغُصنٍ من أغصانها فقال: «انقادي

(١) أخرجه الترمذي في المناقب الباب التاسع، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٩٣).

(٢) أفيح: متسعًا.

(٣) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.

(٤) المخشوش: الذي في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده.

عليَّ بإذن الله» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما - يعني: جمعهما - فقال: «التئما عليَّ بإذن الله» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر[1] مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق[2]. أي كما كانت.

حنين الجذع شوقا للنبي ﷺ:

ولما بنى النبي ﷺ المسجد لم يكن له منبر يخطب عليه فكان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة... فجاءت امرأة من الأنصار وكان لها ولد يعمل نجارًا فاستأذنت رسول الله ﷺ في أن يصنع ابنها منبرًا ليخطب عليه النبي ﷺ فوافق النبي ﷺ.

وفي الجمعة التالية وضع الصحابة الجذع جانبًا وجعلوا المنبر الجديد في القبلة فصعد النبي ﷺ ليخطب على المنبر

---

(١) الحضر: السرعة في الجري.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠١٤).

فإذا بأصحاب الرسول ﷺ يسمعون صوت حنين الجذع وكأنه صوت ناقة في حال الولادة فنزل النبي ﷺ واحتضن الجذع فسكت الجذع فقد كان حزينًا لفراق النبي ﷺ .

* وها هو الحديث الذي يحكي لنا تلك القصة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال[1]: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[2].

وفي سنن الدارمي بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة فيُسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس

---

(1) أشار الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إلى أن قائل كانت تبكي.. هو رسول الله ﷺ .

(2) صحيح: رواه البخاري (٢٠٩٥).

فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتجَّ المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: «**أما والذي نفس محمدٍ بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة**» حزنًا على رسول الله ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن[1].

النبي ﷺ له قوة أربعين رجلا من أهل الجنة

ولقد كان النبي ﷺ يمتلك قوة كبيرة.. فقد كان للنبي ﷺ قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة.

• ففي الحديث الذي رواه البخاري أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبي ﷺ أُعطي قوة ثلاثين[2].

(1) صحيح: رواه الدارمي (٤٢)، وابن خزيمة (١٧٧٧)، وقال الألباني في الصحيحة (٢١٧٤): قلت: وإسناده جيد، وهو على شرط مسلم. وله شاهد من حديث جابر مختصرًا من ثلاث طرق صحيحة عنه.

(2) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨).

- وفي صفة الجنة لأبي نُعيم: أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبي ﷺ أعطي قوة أربعين من رجال أهل الجنة.

- ولعل سائلاً يسأل ويقول: وكم تبلغ قوة الرجل من أهل الجنة؟

- والجواب: أن قوة الرجل من أهل الجنة بمائة رجل من أهل الدنيا.

- والدليل على ذلك قول النبي ﷺ:

«إن الرجل من أهل الجنة، ليُعطَى قوة مائة رجلٍ في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجةُ أحدهم عرق يفيضُ من جلده، فإذا بطنُهُ قد ضمر»[1].

- وعلى هذا يكون حساب قوة نبينا ﷺ بأربعة آلاف رجل.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٧).

حماية الله لنبيه ﷺ

لقد كان الحق -جل وعلا- يحمي نبيه ﷺ دائمًا من كيد الكافرين ومن مؤامراتهم... ولقد وردت في السُّنة روايات كثيرة تحكي لنا كيف كان الحق -جل وعلا- يحمي نبيه ﷺ.

ففي مسند أحمد بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحِجر فتعاقدوا باللات والعُزَّى ومَناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجلٍ واحد فلم نفارقه حتى نقتله... فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك فقال: «يا بُنية أريني وضوءًا» فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعُقِروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصرًا ولم

يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رءوسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: «شاهت الوجوه» ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قُتل يوم بدر كافرًا [1].

وفي البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قِبَل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في القائلة في وادٍ كثير العضاة (شجر له شوك، كالسلم والأراك)، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغُصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي والسيف صلتًا في يديه فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشام السيف، فها هو ذا جالس»، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ وكان مَلِك قومه فانصرف حين عفا عنه. فقال: لا أكون في قوم هم حربٌ لك.

---

(1) صحيح: رواه أحمد (٤/٤٨٦)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٨٢٤).

الله ينتقم لنبيه ﷺ من مشركي قريش

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسَلَى جَزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئًا لو كانت لي مَنَعَة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة... ثم سمَّى «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية ابن خلف[1]، وعقبة بن أبي معيط» وعدَّ السابع فلم نحفظه،

---

(١) في بعض الروايات أبي بن خلف، وفيها [illegible] يوم بدر [illegible] غير أمية أو أبيًا تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرْعى في القليب قليب بدر[1].

* وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال: إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس.

يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله».

قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق! ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ.

قال: فجُعلوا في بئر بعضهم على بعض: فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «يا فلان ابن فلان! ويا فلان ابن فلان! هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًا».

قال عمر: يا رسول الله: كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟

قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا عليَّ شيئًا»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٠) الوضوء، ومسلم (١٧٩٤) الجهاد.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٣) الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

الأرض تلفظ من أراد أن يخدع النبي ﷺ

روى أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتُبُ للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا ولحق بأهل الكتاب، فأعجبوا به ورفعوه، فكان يقولُ: ما يدري محمدٌ إلا ما كتبتُ لهُ!! فأماتهُ اللهُ فدفنُوهُ فأصبح وقد لفظتهُ الأرض، فقالُوا: هذا فعلُ مُحمدٍ وأصحابه لما هرب منهم نبشُوا عن صاحبنا فألقوهُ! فحفرُوا لهُ فأعمقُوا، فأصبح وقد لفظتهُ الأرضُ فقالُوا: هذا فعلُ مُحمدٍ وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوهُ!! فحفرُوا لهُ وأعمقُوا لهُ في الأرض ما استطاعُوا، فأصبح وقد لفظتهُ الأرضُ فعلمُوا أنهُ ليس من الناس فألقوهُ، وتركوه منبوذًا [1].

* * *

(1) صحيح: رواه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: إيش ربك الذي تدعوني إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟! فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاد النبي ﷺ الثانية فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسله الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته» فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[1] [2].

* * *

---

(1) سورة الرعد، الآية: (١٣).

(2) رواه البزار في «كشف الأستار» (٣/ ٥٤)، بإسناد صحيح.

استجابة الله - عز وجل - لدعائه ﷺ

لقد كان النبي ﷺ مؤيدًا من السماء... فهو سيد الأولين والآخرين، وهو حبيب الرحمن -جل وعلا-.

وها نحن نعيش مع بعض دعوات النبي ﷺ التي استُجيبت في الحال أو حتى بعد ذلك بزمان - مع العلم بأن هناك أدعية ادَّخرها الله لحبيبه ﷺ ليوم القيامة-.

- استجابة دعائه ﷺ فيما دعا فيه:

لقد كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة فيما يدعو فيه ربه من قضاء الحوائج وتفريج الكرب وشفاء المرضى وتحقيق المطالب وحلول البركة، حتى تواتر هذا الأمر عنه، فكان ذلك شاهدًا من حاله بتصديق الله له بإجابة دعائه:

وحوادث إجابة دعائه ﷺ كثيرة:

- فمنها: أنه لما قدم المدينة كانت من أوبأ أرض الله كما قالت عائشة رضي الله عنها فدعا الله أن ينقل حُمَّى المدينة إلى

الجحفة[1] وأن يجعل المدينة صحيحة فكان ذلك[2].

* ودعا الله لأم أبي هريرة أن تُسلم، فلما رجع أبو هريرة إلى البيت أعلنت إسلامها[3].

* ودعا لعبد الله بن عباس بالفقه في الدين[4]، فأصبح أحد علماء الأمة، حتى لُقِّب بحبر الأمة وترجمان القرآن.

* ودعا لأنس بن مالك بالمال والولد والبركة في ذلك، فكان من أكثر الأنصار مالاً وولداً[5].

* ودعا للسائب بن يزيد بالبركة، فبلغ أربعًا وتسعين سنة وهو جَلْدٌ معتدل يتمتع بسمعه وبصره[6].

* ودعا لقبيلة دوس بالهداية[7]، فهداهم الله بعد أن أبوا الإسلام.

* ودعا لأم خالد بنت خالد بن سعيد بطول العمر

---

(1) الجحفة: قرية بين مكة والمدينة.
(2) متفق عليه: رواه البخاري (6372)، ومسلم (1376).
(3) صحيح: رواه مسلم (2491).
(4) متفق عليه: رواه البخاري (143)، ومسلم (2477).
(5) متفق عليه: رواه البخاري (6334)، ومسلم (660).
(6) متفق عليه: رواه البخاري (190)، ومسلم (2345)
(7) متفق عليه: رواه البخاري (2937)، ومسلم (2524).

وهي صبية، فبقيت حتى ذكر من بقائها[1].

● ودعا لأبي زيد بن أخطب ومسح على وجهه، فعاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعرات بيض[2].

● ودعا لعروة البارقي بالبركة في صفقة يمينه، فكان كثير الربح[3] وكذلك عبد الله بن جعفر[4].

● واشتكى إليه جرير بن عبد الله أنه لا يثبت على فرسه، فدعا الله له فلم يسقط عن فرس بعد ذلك[5].

● واشتكى إليه علي بن أبي طالب ضعف الخبرة في القضاء، فدعا له بالبصيرة في القضاء. قال علي: فما شككت في قضاء بعد هذا[6].

● ودعا له أيضًا بالشفاء من مرض ألمّ به، قال علي:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٢٩)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٣٨٤)، وأحمد (٤/٣٧٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٨٧)، وصححه الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (١/١٦٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٢٠)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٦) رواه أحمد (٢/٦٨).

فما اشتكيت ذلك الوجع بعد[1].

* واستأذنه شاب في الزنا فصرفه عن ذلك بأسلوب حكيم رحيم ثم دعا له بتحصين فرجه فكان ذلك الفتى لا يلتفت إلى شيء[2].

* ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يكون مستجاب الدعاء.. فكان بعد ذلك إذا دعا استجاب الله دعاءه[3].

* ودعا لأبي هريرة ألا ينسى أي حديث حفظه من النبي ﷺ فكان أبو هريرة لا ينسى حديثًا سمعه من النبي ﷺ أبدًا[4].

* ودعا لطفل صغير بالهداية عندما خُيِّر بين أبيه المسلم وأمه الكافرة فاختار أباه المسلم[5].

* ودعا الله عز وجل أن يُعِزَّ الإسلام إما بعمر بن

---

(١) رواه أحمد (٢٠٦٩٢)، وحسن إسناده الأرناؤوط.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٧٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٥٤)، ومسلم (٢٤٩٢).

(٥) صحيح: رواه النسائي (٣٤٩٥)، وابن ماجه (٢٣٥٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح النسائي.

الخطاب أو بعمرو بن هشام (أبو جهل) فاستجاب الله له وهدى عمر بن الخطاب في اليوم الثاني[1].

• ودعا لقبيلة ثقيف بالهداية[2]، فأقبلوا مهتدين بعد أن حاربوا المسلمين[3].

• ودعا لأصحابه يوم بدر بالرزق ففتح الله عليهم بعد ذلك[4].

• ودعا لجُعيل الأشجعي بالبركة في فرسه وكانت عجفاء ضعيفة، فأصبحت تسابق الناس وباع مما أنتجته بمال كثير[5].

• ودعا لأم المؤمنين أم سلمة بأن يُذهب الله غيرتها[6]، فاستجاب الله سبحانه له[7].

• ودعا الله أن يُعين أصحابه الذين توجهوا لقتل كعب ابن الأشرف الذي آذى المسلمين فنجحوا في مهمتهم،

---

(1) رواه الترمذي وابن ماجه.
(2) مصنف ابن أبي شيبة.
(3) رواه البخاري.
(4) رواه أحمد.
(5)(6) رواه النسائي في السنن الكبرى.
(7) رواه أبو يعلى.

رغم تحصُّنه وصعوبة النَّيل منه[1].

إلى غير ذلك من أنواع الدعوات لمن دعا لهم[2].

* استجابة دعائه على من دعا عليهم:

وقد حصل ذلك في حوادث متعددة، . . . فمن ذلك أنه دعا على الكفار حين رأى منهم إدباراً عن الحق، فقال: اللهم سبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع[3].

* ودعا على سبعة من قريش كانوا يهزءون به والإسلام، فقال عبد الله بن مسعود إنه رآهم صرعى في قليب بدر[4].

* ودعا على عامر بن الطفيل[5] عندما هدد بغزو المدينة، فأصابته غدة[6] ومات على ظهر فرسه[7].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) دلائل النبوة/ لسعيد باشنفر (١/ ٣٥٥) (٢/ ٤٩٧) بتصرف.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٤)، ومسلم (١٧٩٤).

(٥) المستدرك (٤/ ٩٢).

(٦) الغدة: العقدة في الجسم يطيف بها الشحم.

(٧) رواه البخاري.

• ودعا على رجل تكبّر وأبى أن يأكل بيمينه زاعمًا أنه لا يستطيع، فقال: لا استطعت!! فما رفعها إلى فيه [1].

وكان ابن أبي لهب يسب النبي ﷺ فدعا عليه النبي ﷺ قائلاً: اللهم سلط عليه كلبك، فخرج إلى الشام تاجرًا فنزل منزلا فقال: إني أخاف دعوة محمد، فطمأنه رفاقه وناموا حوله وجعلوه وسطهم، فجاء الأسد ودخل إليه قاصدًا إياه فافترسه [2].

إلى غير ذلك من دعواته ﷺ على من دعا عليهم [3]. . . . وإجابة دعواته على من كفر به شهادة من الله على صدق رسالته، وعلى أن الكفر به جريمة يستحق صاحبها العقوبة.

ولقد شهد المؤمنون والكافرون إجابة الله لدعاء الرسول ﷺ في خرق السنن المعتادة له، وفي إكرام من دعا لهم، وفي الانتقام ممن دعا عليهم، وكان ذلك

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢١).
(2) السابق (٢/٤٨٨).
(3) ظلال القرآن لسيد قطب (١/٣٥٥) (٢/٣٩٧).

سببًا في قوة إيمان المؤمنين وفي إقناع المتشككين والكافرين برسالته، . . . وحفظ جيل الصحابة تلك الوقائع بأسماء أصحابها وأماكنها وظروفها وأبلغوها إلى التابعين، وحملها التابعون عنهم إلى مَن بعدهم بترثيق دقيق[1] .

استجابة دعائه في الاستسقاء

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطُب، فاستقبل رسُول الله ﷺ قائمًا فقال: يا رسُول الله! هلكت المواشي وانقطعت السُّبل فادعُ الله أن يُغيثنا، قال فرفع رسُولُ الله ﷺ يديه فقال: «**اللهُم اسقنا، اللهُم اسقنا، اللهُم اسقنا**»، قال أنسُ: ولا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قزعة[2] ولا شيئًا وما بيننا وبين سلع[3] من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثلُ

(١) بينات الرسول ومعجزاته (ص: ٣٠٧-٣١١) بتصرف.

(٢) ولا قزعة: القزعة هي قطعة من الغيم.

(٣) سلع: جبل في المدينة.

الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثُم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًا، ثُم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسُولُ الله ﷺ قائمٌ يخطُبُ فاستقبلهُ قائمًا، فقال: يا رسُول الله هلكت الأموالُ وانقطعت السبلُ فادعُ الله أن يُمسكها قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثُم قال: «اللهُم حوالينا ولا علينا اللهُم على الآكام[1] والجبال والآجام[2] والظراب[3] والأودية ومنابت الشجر»، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس[4].



---

(١) الآكام: جمع أكمة وهي الرابية.
(٢) الآجام: جمع أجم وهو الحصن.
(٣) الظراب: الجبال الصغار.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٥).

احمل فإنما أنت سفينة

وها هو أحد أصحاب النبي ﷺ يدعو له النبي ﷺ بأن يكون في قوة السفينة فيحمل أشياءً ثقيلة جداً فلا يشعر بأي تعبٍ أو مشقة.

فعن جُمهان عن سفينة، قال: قلتُ لسفينة: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبركم، ثم قال: سمَّاني رسول الله ﷺ سفينة، قلتُ: ولِمَ سمَّاك سفينة؟ قال: خرج رسولُ الله ﷺ ومعه أصحابُه، فثقُل عليهم متاعهم، فقال لي رسول الله: «ابسُط كساءك» فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، فحملوه عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «احمل فإنما أنت سفينة»، فلو حملتُ من يومئذ وقر بعير، أو بعيرين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة، أو سبعة ما ثقُل عليَّ إلا أن يخفوا[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٦٠٦)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه»، وأقره الذهبي. وانظر «الإصابة» (٢/٥٨).

إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التي أطلعه الله عليها

إن معرفة الغيب على إطلاقه لا يكون إلا لله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة الجن: الآيات: (٢٦- ٢٨).
(٢) سورة النمل: الآية: (٦٥).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٩).

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(1) .

فالله - عز وجل - يُطلع بعض الرسل على بعض الغيبيات وهذا من باب التأييد والتمكين للرسول ﷺ ورسالته.. وليزداد المؤمنون إيمانًا مع إيمانهم ويقينًا على يقينهم.

ولقد أطلع الله - عز وجل - نبينا ﷺ على الكثير والكثير حتى إن الحبيب ﷺ أخبر أمته بعلامات الساعة الصغرى والكبرى.

ووقع كل ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ ما عدا تلك العلامات التي لم يأتِ موعد ظهورها.

فأخبر النبي ﷺ عن أشراط الساعة الصغرى: ومنها ظهور الفتن واتباع سنن الأمم الماضية وظهور الخوارج وظهور من يدّعي النبوة وضياع الأمانة وكثرة الشُّرَط

---

(1) سورة الأنعام: الآية: (59)

وأعوان الظلمة وانتشار الزنا والربا وظهور المعازف وزخرفة المساجد وشُرب الخمور وكثرة القتل وتقارب الزمان وظهور الشرك في هذه الأمة وظهور الفُحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار وكثرة الشُّح والتجارة وكثرة الزلازل وذهاب الصالحين وارتفاع الأسافل وظهور الكاسيات العاريات، وغير ذلك من علامات الساعة الصغرى... ولقد وقعت كما أخبر بها الحبيب ﷺ وكأنه ينظر إليها من وراء زجاج شفاف.

ومن ذلك أن النبي ﷺ عندما صعد أُحُدًا (جبل أُحد) ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: **«اثبُت أُحد فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان»**[1].

وبالفعل قُتل عمر وعثمان رضي الله عنهما ورزقهما الله الشهادة.

بل لقد ذكر النبي ﷺ المبشرين بالجنة من أصحابه رضي الله عنهم وكلهم ماتوا على التوحيد ولم يرتد واحدٌ منهم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥)، والترمذي (٣٦٩٧).

ومن هذا الباب ما أخبر به النبي ﷺ عندما قال:

«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما في سبيل الله»[1].

ومن هذا الباب قول النبي ﷺ : «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغُرباء»[2].

وأخبر أيضًا ﷺ بعد ذلك بنُصرة الإسلام وبأن الإسلام سينتشر في الكون كله وستدين الأرض كلها لله -جل وعلا- فقال ﷺ في حديث خبَّاب ﷺ : «والله ليُتمنَّ الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[3].

ولو استطردنا في الأمثلة لطال الحديث عن ذلك، ولكن حسبنا ما ذكرناه.. ونسأل الله تعالى أن يطيل أعمارنا حتى نرى الإسلام عزيزًا ونرى الكون كله يدين بهذا الدين ويركع ويسجد لرب العالمين (جل جلاله).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨٥٢).

النبي ﷺ يخبر السائل بسؤاله قبل أن يسأله

عن وابصة الأسدي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئًا من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة - جماعة - من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم. فقالوا: إليك وابصة عن رسول الله فقلت: دعوني فأدنو منه، فإنه أحب الناس إليَّ أن أدنو منه قال: «دعوا وابصة، ادنُ يا وابصة» مرتين أو ثلاثًا. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه. فقال: «يا وابصة أُخبرك أم تسألني؟» فقلت: لا، بل أخبرني. فقال: «جئت تسأل عن البر والإثم» فقلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهنَّ في صدري ويقول: «يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في صدرك، وإن أفتاك الناس وأفتوك»[1].

(1) حسن: رواه أحمد بإسناد صحيح (٤/ ٢٢٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٧٣٤).

النبى ﷺ يخبر بإسلام (طلحة) قبل أن يسلم

لما مات زوج أم سليم رضي الله عنها جاءها أبو طلحة الأنصارى خاطبًا فكلَّمها فى ذلك، فقالت: يا أبا طلحة، ما مثلُك يُردُّ، ولكنك امرؤٌ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك!

فقال: ما ذاك دهرك[1]؟ قالت: وما دهرى؟ قال: الصفراء[2] والبيضاء[3] (أى: أنك تُحبين الذهب والفضة) قالت: فإنى لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره قال: فمن لى بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يُريد النبى ﷺ ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غُرَّة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله ﷺ، بما قالت أم

---

(١) ما ذاك دهرك: ما هذه عادتك.

(٢) الصفراء: الذهب.

(٣) البيضاء: الفضة

سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت البُناني - راوي القصة عن أنس -: فما بلغنا أنَّ مهرًا كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهرًا[1].

إخباره ﷺ بسوء الخاتمة لرجل

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال الآخرون إلى عسكرهم - وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه. فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار».

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجُرح الرجلُ جُرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذُبابه

(١) صحيح: أخرجه الطيالسي (رقم ٢٠٥٦) والسياق له، ومن طريقه البيهقي (٤ / ٦٥ - ٦٦)، وابن حبان (٧٢٥)، وأحمد (٣ / ١٠٥ - ١٠٦، ١٨١، ١٩٦، ٢٨٧، ٢٩٠) والزيادات كلها له، وصححه الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص ٢٦).

بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظَم الناسُ ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجتُ في طلبه ثم جُرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فقال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[1].

إخباره ﷺ ببعض الأمور التي وقعت بعيدًا عنه عند وقوعها

ومن بين ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم: فقال: «أخذ الراية زيد

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٠٣) المغازي - باب غزوة خيبر.

فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[1].

يقصد بهذا السيف (خالد بن الوليد) رضي الله عنه.

* ومن ذلك أيضًا ما جاء في الصحيحين من أن النبي ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المُصلَّى فصفَّ بهم وكبَّر أربعًا.

الآن نغزوهم ولا يغزوننا

وهذا من معجزات الحبيب ﷺ فإنه لما انصرف المشركون الذين جاءوا لقتال المسلمين في غزوة الخندق قال الحبيب ﷺ لأصحابه: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»[2].

وهذا هو الذي حدث بالفعل فقد كان المسلمون يغزون قريشًا حتى فتح الله عليهم وعادوا إلى مكة فاتحين ومنتصرين.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤١٠٩).

معجزات شفاء المرضى وخوارقها

كان أصحاب النبي ﷺ يتعرضون لأنواع من المرض والجراح أثناء غزواتهم، فيأتيه بعضهم فيدعو الله لهم، فيكرمه الله بشفاء من دعا له على الفور أمام أعين المشاهدين، وقد سجلت السُّنَّة الصحيحة عدداً من هذه المعجزات، نذكر منها ما يلي:

(١) شفاء علي رضي الله عنه من رمده في غزوة خيبر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لأُعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه» فقاموا يرجون لذلك أيهم يُعطَى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «أين علي؟» فقيل يشتكي عينيه، فأمر فدُعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم»[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

عن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أُصيب سلمة! فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة[1].

(٣) شفاء ساق عبد الله بن عتيك:

عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز (وذكر قصة قتله) ثم قال: فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٠٦)

جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا؟ فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز! فانطلقت إلى أصحابى فقلت: النجاء! فقد قتل الله أبا رافع! فانتهيت إلى النبى ﷺ فحدثته، فقال: «ابسُط رجلك»، فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[1].

(٤) ظهور أثر بركته فى مسحه رأس حنظلة بن حذيم:

مسح النبى ﷺ رأس حنظلة بن حذيم وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، فكان حنظلة بعد ذلك إذا أتى بإنسان متورم الوجه أو بهيمة وارمة الضرع، يتفل على يديه، ثم يضع يده على رأسه على الموضع الذى مسحه رسول الله ﷺ، ثم يمسح مكان الورم فيذهب الورم[2].

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩ - ٤).
(٢) رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٦٧) وقال فى مجمع الزوائد (٤/ ٢١١) ورجاله ثقات.

هذا وقد علّم النبي ﷺ الصحابة والمسلمين من بعدهم أدعية يدعون بها لكشف المرض فيجدون الشفاء المستمر، وهذا موجود إلى يومنا هذا.

(٥) شفاء عين أبي قتادة:

عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا»، فدعاه، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

وفي رواية: أنه أُصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته؛ فأراد القوم أن يقطعوها، فقالوا: نأتي نبي الله نستشيره. فجاء، فأخبره الخبر، فأدناه رسول الله ﷺ منه، فرفع حدقته حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته وقال: «اللهم اكسُهُ جمالاً» فمات، وما يدري من لقيه أيّ عينيه أُصيبت.

وجاءت رواية ثالثة تثبت أن ذلك حدث في غزوة أُحد، والله أعلم.

خاتم النبوة

ويلحق بالخوارق ما وُجد من علامة على ظهره الشريف ﷺ تدل على نبوته، وقد كان أهل الكتاب يعلمون هذه العلامة، وذكر أحد علمائهم ذلك لسلمان الفارسي رضي الله عنه ليعرف بها رسول الله ﷺ، ولما ذهب سلمان إلى المدينة النبوية تحقق من ذلك فرأى الخاتم، ورأى الخاتم أيضًا جماعة من الصحابة.

فعن السائب بن يزيد يقول: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة[1].

وقد رأى خاتم النبوة من الصحابة أيضا:

جابر بن سمرة، وأبو زيد الأنصاري، وعبد الله بن سرجس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

(1) متفق عليه: رواه البخاري (190)، ومسلم (2345).

وجود هذه العلامة الخلقية المطابقة لما ورد في كتب أهل الكتاب أمر لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه[1].

معرفة النبي ﷺ بلحم شاة ذبحت بغير إذن أهلها

عن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه مرُّوا بامرأة فذبحت لهم شاة واتخذت لهم طعامًا، فلما رجع قالت: يا رسول الله: إنا اتخذنا لكم طعامًا فادخلوا فكلوا، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا لا يبدءون حتى يبتدئ النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها، فقال النبي ﷺ: «هذه شاة ذُبحت بغير إذن أهلها» فقالت المرأة يا رسول الله إنا لا نحتشم[2] من آل سعد بن معاذ ولا يحتشمون منا، نأخذ منهم، ويأخذون منا[3].

---

(1) بينات الرسول ومعجزاته (ص: ٢٠٣-٣٠٣).

(2) لا نحتشم: لا نستحي.

(3) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٣٢٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٤١).

الصحابة يسمعون صوت النبي ﷺ وهم في منازلهم

فــفي يوم من الأيام وقف النبي ﷺ في (منى) وخطب في الصحابة فسمعوا صوته وهم في منازلهم.

قال عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى، ففُتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم... الحديث (١).

كانوا يعطرون العطر بعرق النبي ﷺ

ولقد كان عرق النبي ﷺ أطيب وأجمل من ريح المسك لدرجة أنهم كانوا يضعون عرق النبي ﷺ على العطر حتى تصبح رائحة العطر أجمل.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ (٢)، ولا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٩٥٧) وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٣٦٩).

(٢) تكفأ: أي مال يمينًا وشمالاً كما تكفأ السفينة.

مسستُ ديباجةً ولا حريرةً ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممتُ مسكةً ولا عنبرةً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ(1).

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ، فقال(2) عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سُليم ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب(3).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها، وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأُتيت، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها(4) فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٣)، ومسلم (٢٣٣٠).

(2) قال: أي نام القيلولة.

(3) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١).

(4) عتيدتها: أي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

قواريرها، ففزع النبي ﷺ، فقال: «ما تصنعين يا أم سُليم؟»(٢).

فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا.

قال: «أصبت»(٢).

* * *

---

(١) [illegible]

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١).



من كرامات الصحابة رضي الله عنهم



من كرامات الصحابة رضي الله عنهم

حبايبي الحلوين:

لابد أن تعلم أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين (صلوات ربي وسلامه عليهم) فلقد اختارهم الله لصُحبة نبيه ﷺ ونشر رسالته من بعده وزكّاهم بأعظم تزكية، فقال تعالى: ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [2].

ومن هنا كان لزامًا علينا أن نعرف أخبارهم وسيرهم

---

(١) سوة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

لتنشرها بين المسلمين ليعرفوا قدرهم ومنزلتهم عند الله وعند رسوله ﷺ.

ولقد أكرم اللهُ تعالى (أصحاب الحبيب ﷺ) بكرامات كثيرة لا نستطيع أن نحصرها في مجلدات، ولكننا اليوم سنحاول الوقوف على بعض تلك الكرامات لنعلم قدرهم عند الله... وحسبُهم أن الله أكرمهم بصُحبة الحبيب ﷺ فهذه أعظم كرامة يمتن الله بها على عبدٍ من عباده.

فتعالوا بنا لنتعايش من خلال تلك السطور مع باقة عطرة من كرامات الصحابة لنعرف قدرهم ومكانتهم عند ربهم -جل وعلا-.



باقة عطرة من كرامات عمر بن الخطاب ﷺ

وها هى باقة عطرة من الكرامات التى أكرم اللهُ بها فاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ.

* فلقد أخبر النبى ﷺ أن الله جعل الحق يسرى على قلب ولسان عمر ﷺ حتى أن النبى ﷺ أخبر أنه لو كان هناك نبى من بعده لكان أحق الناس بالنبوة من بعده هو عمر ﷺ.. لكن النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فليس بعده نبى.

عن عقبة بن عامر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو كان من بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب**»[1].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[2].

وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال

(١) صحيح: رواه أحمد (١٧٣٣٦)، والترمذى (٣٦٨٦)، صحيح الجامع (٥٢٨٤).
(٢) صحيح: رواه أحمد (٥١٤٥)، والترمذى (٣٦٨٢)، صحيح الجامع (١٧٣٦).

فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر[1].

وعن طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك[2].

النبي ﷺ يرى قصر عمر في الجنة

وها هو النبي ﷺ يحكي لأصحابه أنه كان نائمًا فرأى نفسه في الجنة.. ورأى امرأة تتوضأ بجانب قصر فقال ﷺ: «لمن هذا القصر؟» فأخبروه أنه قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فولَّيت مُدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!»[3].

---

(1) رواه أحمد (٢/ ٩٥) وفي فضائل الصحابة (٣١٣-٣١٤) وقال الشيخ مصطفى العدوي: إسناده حسن.

(2) رواه أحمد وقال وصي الله بن محمد عباس في تخريج فضائل الصحابة (٣٤١) وهو موقوف صحيح.

(3) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

القرآن ينزل موافقًا لرأي عمر رضي الله عنه

ويا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة أكرم اللهُ بها فاروق الأمة رضي الله عنه حيث وافقه في كثيرٍ من المواقف، فأنزل القرآن موافقًا لرأي عمر رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: وافقت ربي في ثلاث[1]: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يُكلِّمهُنَّ البَرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه.

فقلت لهن: عسى ربُّه إن طلَّقكنَّ أن يُبدله أزواجًا خيرًا

---

(١) قال الحافظ في الفتح: قوله (وافقت ربي في ثلاث) أي وقائع، والمعنى وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار به إلى حدوث رأيه، وقدم الحكم، وليس في تخصيصه العدد الثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء، غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين. ثم قال رحمه الله: وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر، لكن ذلك بحسب المنقول. اهـ (فتح ١/ ٦٦٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٢٥).

منكنَّ، فنزلت هذه الآية[1].

وفي رواية مسلم قال: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه وهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تُعبَد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينْجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[3] فأمده الله بالملائكة.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (٤٠٢) الصلاة - وأحمد (١٥٧) والنسائي في الكبرى (٨/ ١٣).

(2) صحيح: مسلم (٢٣٩٩) فضائل الصحابة - باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(3) سورة الأنفال الآية: (٩).

قال ابن عباس: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقهُ، وصوت الفارس يقول: أَقْدِم حَيْزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه، وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا أربعين: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟».

فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟».

قلت: لا. والله! يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكنَّا فنضرب أعناقهم، فتُمكن عليًا

من عَقيل، فيضرب عنقه، وتُمكِّنِّي من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وصناديدُها.

فهوى رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ، وأبو بكر قاعدين يبكيان.

فقلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما.

فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عُرض عليّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[1].

فأحلَّ الله الغنيمة لهم»[2].

---

(١) سورة الأنفال الآيات: (٦٧: ٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٦٣) في الجهاد والسير باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٢٠٨، ٢٢١) والترمذي (٣٠٨١) في تفسير القرآن.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما مات عبد الله بن أُبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه، فقلت: يا رسول الله أتُصلي على (ابن أُبي)، وقد قال يوم كذا، وكذا: كذا وكذا! أعدّدُ عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخِّر عني يا عمر.

فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترت لو أعلم أني زِدتُ على السبعين يُغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

قال: فعجبت بعدُ من جُرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٨٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٦) الجنائز، ومسلم (٢٤٠٠) فضائل الصحابة.

شياطين الجن والإنس تفر من عمر رضي الله عنه

إن الإنسان كلما ازداد خوفه من ربه - عز وجل - فإن الله يُلقى هيبته فى قلوب من حوله.. وها هو فاروق الأمة رضي الله عنه يُلقى الله هيبته فى قلوب الشياطين.. فما إن تراه حتى تهرب خوفًا منه!!!.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبى ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه - وفى رواية: يسألنه، ويستكثرنه - عالية أصواتُهنَّ على صوته، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل عمر، والنبى ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنَّك[1]، بأبى وأمى ما أضحكك؟

قال: «عجبت من هؤلاء اللاتى كُنَّ عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب».

قال عمر: فأنت يا رسول الله لأحق أن يهبن، ثم قال:

---

(١) قال الحافظ فى الفتح: لم يُرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه، وهو السرور أو نفي ضد لازمه، وهو الحزن (الفتح ٥٨/٧).

أى عدوات أنفسهنّ، أتهبننى، ولا تهبن النبى ﷺ ؟

قلن: نعم، أنت أفظ، وأغلظ[1] من النبى ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : «إيه[2] يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[3].

وفى رواية: قال ﷺ : «إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرُّوا من عمر»[4].

يا سارية الجبل

وفى يوم من الأيام أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ جيشًا وأمَّر عليه رجلاً اسمه (سارية). . وكان الجيش فى مكانٍ بعيد.

---

(١) قال الحافظ فى الفتح: أفعل تفضيل من الفظاظة، والغلظة، وهو يقتضى الشركة فى أصل الفعل، ويعارض قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يقتضى إنه لم يكن فظا، ولا غليظًا (انظر الفتح ٥٨/٧).

(٢) بالكسر، والتنوين معناها: حدثنا ما شئت، وبغير تنوين زدنا مما حدثتنا.

(٣) رواه البخارى رقم (٣٦٨٣) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﭬ ، ومسلم رقم (٢٣٩٦) فى فضائل الصحابة.

(٤) رواه الترمذى عن عائشة ﭭ وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٩٦).

وبدأ القتال وكاد الجيش المسلم أن يُهزم.. وفجأة سمعوا صوتًا في أرض المعركة يشبه صوت عمر ﷺ يقول: يا سارية الجبل.. أي: يا سارية تحصَّن أنت والجيش بالجبل..

فأخذ سارية جيشه وجعل الجبل خلف ظهره حتى يأمن من هجوم العدو من الخلف... ثم قاتلوا وانتصروا (بفضل الله جل وعلا).

فلما عادوا بعد ذلك علموا أن عمر بن الخطاب كان في تلك اللحظة التي سمعوا فيها صوته يخطب الجمعة... وفجأة قال: يا سارية الجبل فوصل صوته إلى أرض المعركة - بإذن الله - فكان سببًا في تحويل الهزيمة إلى نصر.

* وها هي القصة كاملة من خلال هذا الحديث.

عن ابن عمر ﷺ أن عمر وجَّه جيشًا ورأس عليه رجلاً يقال له سارية. قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، ثلاثًا، ثم قدم

رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزمنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديًا: يا سارية الجبل ثلاثًا، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك[1].

قال الشيخ الألباني رحمة الله عليه: فالقصة صحيحة ثابتة، وهي كرامة أكرم الله بها عمر، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به.

عمر بن الخطاب ﷺ يخاطب نيل مصر

لما فتح عمرو بن العاص ﷺ مصر وأدخل أهلها في الإسلام وإذا به في شهر يُسمَّى (بؤونة) جاءه بعض أهل مصر وأخبروه أن ماء النيل قد أجدب وأصبح الماء فيه قليلاً وأنهم تعودوا كل سنة أن يشتروا جارية جميلة بأغلى الأثمان من أبويها وأن يضعوا عليها أغلى أنواع الذهب

(١) رواه البيهقي في الدلائل، وابن عساكر، وذكره ابن كثير في البداية (٧/ ١٣٥)، وقال: وهذا إسناد جيد حسن، ووافقه الألباني، وقال: وهو كما قال: انظر الصحيحة رقم (١١١٠).

والمجوهرات ثم يلقونها فى النيل حتى يفيض ماء النيل على أهل مصر... فغضب عمرو بن العاص وقال: إن هذا لا يكون فى الإسلام. وأرسل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخبره بما حدث فوافقه عمر على رأيه وذلك لأن الله هو الذى يرزق عباده بالماء والطعام وليس النيل.

وأرسل عمر خطابًا إلى عمرو بن العاص وأرسل فيه بطاقة يخاطب فيها نيل مصر ويقول فيها للنيل: إن كنت تفيض بالماء من عندك أنت فلسنا بحاجة إلى مائك وإن كنت تجرى بأمر الله فنسأل الله أن يُجريك وأن يجعلك تفيض بالماء على أهل مصر.

فلما ألقى عمرو بطاقة أمير المؤمنين عمر فى النيل فاض النيل بالماء والخير الكثير... وكان أهل مصر قد استعدوا قبلها للخروج من أرض مصر فقطع الله عنهم هذه العادة السيئة إلى يومنا هذا - والحمد لله-.

* وها هى القصة كما وردت فى تلك الرواية:

عن قيس بن الحجاج عمّن حدثه قال: لما افتُتحت مصر

أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤونة من أشهر العجم - فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سُنّة لا يجرى إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكرٍ من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحُلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى.. والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيرًا، حتى همّوا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذى فعلت، وإنى قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابى، فألقها فى النيل. فلما قَدِم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أما بعد، فإن كنت إنما تجرى من قِبلك ومن أمرك فلا تجرِ فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار، وهو الذى يُجريك فنسأل الله تعالى أن يُجريك»

قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة وقطع الله السُنَّة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم[1].

ملائكة الرحمن تستحي من عثمان بن عفان رضي الله عنه

فلقد أخبر النبي ﷺ أن الملائكة تستحي من عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

* وها هي أمنا عائشة رضي الله عنها تحكي لنا كيف أخبرها النبي ﷺ بأن الملائكة تستحي من عثمان رضي الله عنه.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوَّى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/١٠٢-١٠٣).

قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[1].

النبى ﷺ يخبر عثمان بأن سيفطر عنده فى الجنة

فقى تلك اللحظة الحاسمة التى حاصر فيها الثوار بيت عثمان بن عفان ﵁ ليقتلوه.. ظل عثمان صابرًا محتسبًا... وحاول بعض الصحابة أن يدافعوا عنه وأن يقاتلوا الثوار فرفض أن تُراق قطرة دمٍ بسببه.

فرأى النبى ﷺ فى المنام فى تلك الليلة وهو يخبره أنه سيُفطر عنده فى الجنة.

عن نافع عن ابن عمر، أن عثمان ﵁ أصبح يحدِّث الناس، قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: «يا عثمان،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١) عن عائشة ﵂.

أفطر عندنا»، فأصبح صائمًا وقُتل من يومه[1].

واستسلم عثمان لأمر الله رجاء موعوده، وشوقًا إلى رسوله ﷺ.

وعن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان بن عفان ﭬ لأسلِّم عليه وهو محصورٌ فدخلت عليه فقال: يا أخي رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة.

قال: وخوخة في البيت.

فقال ﷺ: «يا عثمان.. حصروك؟» قلت: نعم.

قال: «عطَّشوك؟» قلت: نعم.

فأدلى دلوًا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي: «إن شئت نُصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا؟» فاخترت أن أفطر عندهم.. فقُتل ذاك اليوم رحمه الله[2].

❊ ❊ ❊

---

(1) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١٩٠).

(2) رواه أحمد (١/ ٧٢) وابن سعد (٣/ ٧٤) والحاكم (٣/ ١٠٣) بإسناد حسن.

الله يحفظ جسد (طلحة) بعد موته

إن الله يحفظ العبد المؤمن بعد موته كما يحفظه وهو حى.

وها هو طلحة رضي الله عنه بعد موته بأكثر من ثلاثين سنة يفتحون قبره وينقلونه إلى مكانٍ آخر، وإذا به لم يتغير منه إلا شُعيرات فى إحدى شِقّى لحيته.

فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشةَ بنت طلحة فقال: رأيت طلحة فى المنام، فقال: قل لعائشة تحولنى من هذا المكان! فإنَّ النَّزَّ - الرطوبة أو الماء - قد آذانى. فركبت فى حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شُعيرات فى إحدى شِقَّى لحيته، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة.

وحكى المسعودىُّ أن عائشة بنته هى التى رأت المنام[1].

* * *

(١) سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبى (١/ ٤٠).

الله يستجيب دعاء سعد بن أبي وقاص ﷺ

إنه ما من مسلمٍ إلا ويتمنى أن يستجيب الله دعاءه في كل مرة يدعو فيها ويسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة.

ولقد قام النبي ﷺ في يومٍ من الأيام ودعا لسعد بن أبي وقاص دعوة عظيمة بأن يستجيب الله دعاءه في أي وقتٍ وحين فقال ﷺ: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»[1].

* وها هو موقف عجيب يوضح لنا كيف كان الله - عز وجل - يستجيب دعاء سعد بن أبي وقاص ﷺ.

* **عن جابر بن سمرة ﷺ قال:** «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر ﷺ فعزله واستعمل عليهم عمَّارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق (سعد) إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي العشاء فأركد في

---

[1] رواه الترمذي (٣٧٥٢)، والحاكم (٣/ ٤٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٦١١٦).

الأوليين وأخف في الأخريين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة ابن قتادة يُكنَّى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطِل عمره وأطل فقره وعَرِّضهُ للفتن، وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[1].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣) مختصراً على الجزء الأول منه.

سعد بن أبي وقاص
يعبر نهر دجلة بالخيول

لما أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ليقود الجيش في بلاد فارس.. خرج سعد بالجيش ووصلوا إلى نهر دجلة.

فلما علم (الفُرس) بقدوم جيش المسلمين أخذوا السُّفن وعبروا بها إلى الشاطئ الآخر فلم يستطع المسلمون أن يفعلوا شيئًا.

وهنا قام سعد رضي الله عنه وقال لأصحابه: إني عزمت على أن أعبر النهر بالخيل.. فقالوا له: ونحن معك إن شاء الله.

وعبروا نهر دجلة بالخيول وكانوا يتحدثون في النهر كما كانوا يتحدثون في البر.. فلما رآهم قائد جيوش الفُرس امتلأ قلبه رُعبًا وكان النهر حليفًا للمسلمين (بفضل الله - جل وعلا -).

* وها هي الرواية التي تحكي لنا هذه القصة:

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ بالمسير إلى «المدائن» عاصمة كسرى. وتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن، وسار المسلمون من نصر إلى نصر في «برس» وفي «بابل»، وفي «بهرسير».

وبذلك أصبح جيش المسلمين في الضفة المقابلة للمدائن، وحاول سعد أن يُؤَمِّن عبور جيشه في السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها. وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزَّبد لشدة جريانه، وموجُه متلاطم، وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلةٍ من ليالي سعد، رأى رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت، وقد أقبلت من المد بأمرٍ عظيم.

فصدَّق الرؤيا، وعزم على عبور النهر، فجمع الجيش وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إن

عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلُصُون إليه معه، وهم يخلُصون إليكم إذا شاءوا فيُناوشُونكم في سُفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، فقد كفاكموه أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعًا: عزم الله لنا ولك على الرُشد، فافعل»[1].

وندب سعد الناس للعبور، ثم قال: «من يبدأ ويحمي لنا الفراض[2] لكيلا يمنعونا من العبور». فانتدب عاصم ابن عمرو التميمي، وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد مع جيشه بعدهم، ففاجأوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم.

---

(١) الطبري (٣/ ١١٩)، وابن الأثير (٢/ ١٩٨)، وفتوح الشام للواقدي (٢/ ١٢٧).

(٢) الفراض: جمع فرضة، وهي ثغور المخاضة من الناحية الأخرى ويُسمى في المصطلح العسكري رأس جسر.

سبحان الله!! نهر هادر لا يقلّ عُمق مياهه عن ستة أمتار تخوضه الخيول سباحةً وعلى رأسها الفرسان يقاتلون.

قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ أسبانير: «قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

لقد اقتحموا دجلة ما يكترثون، وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر كما يتحدثون في مسيرتهم على الأرض.

نظر جنود «يزدجرد» إلى هذه الخيل التي ملأت دجلة، وجعلوا يرددون بالفارسية (ديوان آمد) ويقول بعضهم لبعض: «والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن».

قال أبو عثمان النهدي: «طُبِّقت دجلة خيلاً ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها، لها صهيل، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شيء».

---

(1) الطبري (٤/٤٨).

الله يستجيب دعاء سعيد بن زيد ﷺ

وها هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

ها هو يفوز بمنقبة عظيمة حينما ظلمته امرأة وادَّعت أنه أخذ شيئًا من أرضها ظُلمًا فقام يدعو عليها فاستجاب الله دعاءه وأخذها أخذ عزيزٍ مقتدر.

* وها هي الرواية التي تحكي لنا هذه القصة:

عن هشام بن عروة، عن أبيه أن أروى بنت أويس ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمتهُ إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظُلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعمِّ - فأعم - بصرها واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرُها ثم

بينا - بينما - هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حُفرةٍ فماتت[1].

أبو عُبيدة تسقط أسنانه دفاعا عن النبي ﷺ فيجمل منظره الرب العلى

لما كان يوم غزوة أُحد قام أحد المشركين (عبد الله بن قمئه) وضرب النبي ﷺ ضربة شديدة فدخلت حلقتان من الحديد في وجه النبي ﷺ.. فقام أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه لينزع تلك الحلقات بأسنانه من وجه النبي ﷺ فسقطت أسنانه وأصبح أهتمًا فألقى الله على وجهه الجمال والبهاء فأصبح أجمل وأبهى من الأول لأن أسنانه سقطت دفاعًا عن النبي ﷺ.

* وها هي الرواية التي تحكي لنا هذه القصة:

كان أبو عبيدة رضي الله عنه ممن ثبتوا مع النبي ﷺ وأبلى يوم أُحُدٍ بلاءً حسنًا، ونزع يومئذٍ الحلقتين اللتين دخلتا من

(1) صحيح: رواه مسلم (١٢٣١).

المغفر في وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته فانقلعت ثنيتاه، فحسُن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رؤى هتمٌ قط أحسنُ من هتم أبى عبيدة[1].

فانظر - رحمك الله - كيف بلغ الأدب بأبى عبيدة.. لا ينزع حلقتى المغفر بيده لئلا يؤذى رسول الله ﷺ بل ينزعهما بفمه حتى سقطت ثنيتاه.

الله يرزق أصحاب النبى ﷺ بحوت كبير

ففى إحدى السرايا التى أرسلها النبى ﷺ كان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أميراً على تلك السرية.. وكان يُعطى كل واحدٍ تمرة واحدة لأنه لم يكن معه سوى التمر.

وأحسَّ الصحابة بالجوع الشديد فأخذوا يدعون الله - جل وعلا- أن يرزقهم بما يُشبعهم حتى يقدروا على الجهاد فى سبيله... فاستجاب الله لهم وأخرج لهم حوتاً كبيراً من البحر ظلوا يأكلون منه عشرين يوماً - بفضل الله -.

(1) الطبقات لابن سعد (١/ ٢٩٨) والاستيعاب (٥/ ٢٩٢) والمستدرك (٣/ ٢٦٦)

*** وما هي الرواية التي تحكي لنا هذه القصة:**

عن عُبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر. عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزوَّدهم جرابًا من تمر، فجعل يقُوتهم إياه، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدداً، قال: ثم نفد التمر، حتى كان يعطي كلَّ رجل منهم كل يوم تمرة. قال: فقسم يومًا بيننا. قال: فنقصت تمرةٌ عن رجل، فوجدنا فقدها ذلك اليوم، قال: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصبنا من لحمها وودكها، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنًّا وابتللنا، وأخذ أميرنا ضلعًا من أضلاعها، فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا. قال: فجلس عليه. قال: فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: «**رزقٌ رزقكموه الله**»[1].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب «الصيد» باب «إباحة ميتة البحر» (١٩٣٥) بلفظ «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا».

أنس بن مالك ﷺ يرى النبي ﷺ في منامه كل ليلة

كان أنس بن مالك ﷺ خادمًا للنبي ﷺ وكان يحبه حبًا شديدًا فلما مات النبي ﷺ حزن أنس حزنًا شديدًا وكان يشتاق لرؤية النبي ﷺ فأكرمه الله بتلك الكرامة الكبيرة بأن يرى النبي ﷺ في منامه كل ليلة.

قال المثنى بن سعيد: سمعتُ أنسًا يقولُ: ما من ليلةٍ إلا وأنا أرى فيها حبيبي. ثم يبكي[1].

الله أكبر!!! تالله إننا لنشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ ولو مرة واحدة... وأنس ﷺ يراه كل ليلة في منامه.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* * *

(١) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٧/ ٢٠)

عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه

لقد كان سعد بن معاذ رضي الله عنه من أعظم أسباب نشر الإسلام في المدينة المنورة.. فنحن نعلم أنه لما أسلم أسلمت قبيلته كلها في نفس الليلة.

بل كان سعد بن معاذ من أسباب النصر في غزوة بدر يوم أن كان قائداً للأنصار فثبت مع النبي ﷺ هو وأصحابه حتى كان النصر في غزوة بدر.

* وكان له من المواقف الكثير والكثير التي استطاع من خلالها أن ينصر الإسلام.

فكانت المكافأة أن الله أكرمه عند موته بأن يهتز عرش الرحمن لموته وأن يرسل له سبعين ألفاً من الملائكة يُشيعون جنازته.

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن جل جلاله.

قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[1].

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفى سعد ابن معاذ صاحت أمه فقال النبى ﷺ: ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟ [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «اهتز العرش لحب لقاء الله سعدًا» [2].

الملائكة تحمل جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه

وها هي تلك اللحظة الحاسمة التي نزلت فيها الملائكة لتُشيِّع جنازة هذا الصحابى الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

عن محمود بن لبيد قال: لما أصيب أكحلُ سعدٍ، فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها رُفيدة تُداوى الجرحى. فكان النبى ﷺ إذا مرَّ به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التى نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء

(١) قال الهيثمى فى المجمع (٩/٩-٣٠) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى فى تلخيصه.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢/١٢) والحاكم (٣/٦-٢٠) وصححه ووافقه الذهبى.

رسول الله، فقيل: انطلقوا به. فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوعُ نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسَّلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسَّل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعدا

حزامة وجدا

فقال: «كُل باكية تكذب إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»[1].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفُتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضَمَّة ثم أُفرج عنه» يعني سعدًا[2].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ٧-٨) وحسنه الأرناؤوط في السير (١/ ٢٨٧).

(٢) رواه النسائي وابن سعد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٨٧).

سيقان ابن مسعود يوم القيامة أثقل من جبل أحد

وفي يومٍ من الأيام قام عبد الله بن مسعود ﭬ وصعد شجرة ليقطع سواكًا للنبي ﷺ فجاءت الريح فكشفت سيقان ابن مسعود فضحك الصحابة لأن سيقان ابن مسعود كانت رفيعة جداً فغضب النبي ﷺ وأخبرهم بأن سيقان ابن مسعود ستكون يوم القيامة أثقل من جبل أحد.

* وها هي الرواية التي تحكي لنا هذه القصة:

عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ : «مِمَّ تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد»[1]. أي من جبل أُحُد.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، وأبو يعلى (٩/ ٢٠٩)، والطبراني (٩/ ٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣١٩٢).

النبى ﷺ يسمع صوت أقدام أم سليم فى الجنة

لقد أسلمت أم سُليم ﵂، وكان زوجها مالك (والد أنس) ما زال كافرًا . . . وذات مرة سمع مالك زوجته وهى تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فخرج من البيت غاضبًا فلقيه عدوٌ له فقتله.

ولما علمت أم سليم بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى رسول الله ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادمًا عنده، فرحَّب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجابٍ وتقدير . . . ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم

للزواج من أم سليم ويعـرض عليهـا مهـرًا غاليًـا، إلا أن المفاجأة أذهـلته وعقلت لسانه عندمـا رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكـرامة، وهي تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت[1].

فأحسَّ أبو طلحة بضيقٍ شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، لكنه عاد في اليوم التـالي يُمنيها بمهرٍ أكـبر وعيـشة رغيـدة عساها تليـن وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية - التي ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها، حيث المال والجـاه والشبـاب - تشعر بـأن قلعة الإسلام في قلبها أقـوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدبٍ جَمٍّ: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدُّ ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مـسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فـإن تُسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره»[2].

لقد هزت هذه الكلمـات أعماقه ومـلأت كيانه، فقد

---

(1) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٦) - الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣) بتصرف.
(2) الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣) - الحلية (٢/ ٥٩-٦٠) بتصرف

تمكنت أم سليم من قلبه تمامًا، فليست هي المرأة التي تنهار أمام المغريات.

إنها المرأة العاقلة التي تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأمًا لأولاده؟!![1].

فألقى اللهُ الإسلام في قلبه وأحسَّ بعظمة هذا الدين الذي يجعل تلكم المرأة لا تتأثر بمغريات الدنيا وزينتها، بل إنها تستعلي بإيمانها فوق ذلك كله.

فأراد أبو طلحة أن يعلن إسلامه فقال لها: فمن لي بذلك؟ قالت: النبي ﷺ. فانطلق يريده. فقال النبي ﷺ: **«جاءكم أبو طلحة وغُرة الإسلام بين عينيه»**[2].

ما شعر إلا ولسانه يردد (أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله).

فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهي تقول بسعادة بالغة

---

(١) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص ٣٠)

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسي (رقم ٢٠٥٦) والسياق له، ومن طريقه البيهقي (٤ / ٦٥ - ٦٦)، وابن حبان (٧٢٥)، وأحمد (٣ / ١٠٥ - ١٠٦، ١٨١، ١٩٦، ٢٨٧، ٢٩٠) والزيادات كلها له كما سيأتي، وصححه الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص ٢٦).

بعد أن هدى الله على يديهـا أبا طلحة: قُم يا أنس فزوِّج أبا طلحة..... فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قـال ثابت - راوي الحديث عن أنس -: فمـا سمعنا بمهرٍ كان قَطّ أكـرم من مهر أم سُلَيم: الإسلام[1] - أي كان مهرها الإسلام -.

ومنذ تلك اللحظـة عاش أبو طلحـة رضي الله عنه في رحـاب الوحي ونوره وخالط الإيمان شغاف قلبه حتى أحسَّ وكأنه أسعد إنسان في الدنيـا كلها. ولِمَ لا؟ وهو يعيش في جنة الدنيا بإيمانه، بل وتعيش في بيته امرأة من أهل الجنة!!!

لقد قال صلى الله عليه وسلم ذات مرة: «دخلت الجنة فسمـعت خشفةً بين يديَّ فـقلت: مـا هذه الخـشـفـة؟ فقيـل: الغُـمـيـصـاء بنت ملحان»[2].

والغميصاء بنت ملحان هي أم سليم رضي الله عنها.

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧) والطيالسي في مسنده (٢٠٥٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦).

كرامة ثابتة لأبى طلحة بعد موته

لقد كان أبو طلحة ﷺ يدافع عن النبى ﷺ فى غزوة أُحد دفاعًا عظيمًا.. وأراد النبى ﷺ أن يُكرمه بعد ذلك.

ففى يوم من الأيام لما رمى النبى ﷺ جمرة العقبة ونَحَرَ الهَدى وأراد أن يحلق بعد ذلك فحلق الشّق الأيمن فقسّمه على بعض أصحابه ثم حلق الشّق الآخر وأعطاه كله لأبى طلحة ﷺ.

* عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البُدن فنحرها، والحجَّام جالس وقال بيده على رأسه فحلق شِقَّه الأيمن فقسمه فيمن يليه ثم قال: «احلق الشق الآخر» فقال: «أين أبو طلحة» فأعطاه إياه [1].

ويا لها من منقبة عظيمة أن يَخُصَّه الحبيب ﷺ من بين الصحابة ﷺ بتلك الهدية الغالية.

وها هو فى آخر أيامه ﷺ لكن شيخوخته ما حالت

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٠٥).

بينه وبين الجهاد فى سبيل الله حتى آخر قطرة من دمه.

* عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة التوبة (براءة) فأتى على هذه الآية ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[1] فقال: الا أرى ربى يستنفرنى شابًا وشيخًا؟ جهزونى.

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبى بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهزونى... فجهزوه، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير[2].

وهناك فى هذا المكان البعيد عن الأهل والعشيرة والأصحاب يُدفن أبو طلحة.

وإن كان مكانه بعيدًا عن أعيننا إلا أنه ليس بعيدًا عن عين الله - جل وعلا - الذى سيَجبر كسره يوم القيامة فى جنات النعيم مع الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٣٥٣) وابن حبان (٢٢٥١) وذكره الهيثمى فى المجمع (٩/٣١٣) وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

الجنة تشتاق إلى ثلاثة

إن مما لا شك فيه أنه ما من مسلم إلا وهو يشتاق إلى دخول جنة الرحمن والفوز برضوانه -جل وعلا- ولكن العجب العُجاب أن تشتاق الجنة إلى رجلٍ مسلم.

وسوف يزول هذا العجب حينما تعلم أن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ هو الذي أخبر بذلك.

قال ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمارٍ وبلال»[1].

وقال ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمارٍ وسلمان»[2].

ويا لها والله من كرامة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٩٨) المناقب - والحاكم (٣/ ١٣٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٧٩٨)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

النبى ﷺ يسمع صوت نعلى (بلال) فى الجنة

إنه بلال رضي الله عنه الذى أخبر الحبيب ﷺ بأن الجنة قد اشتاقت إليه... فها هو ﷺ يخبر مرة أخرى بأنه سمع صوت تحريك نعليه فى الجنة.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ بلالاً، فقال: «يا بلال بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ إنى دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيت على قصر من ذهب مُربع فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: فأنا محمد. لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من العرب. قلت: أنا عربى. لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: فأنا قرشى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب». فقال بلال: يا رسول الله ما أذَّنت قَط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حدثٌ قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: «بهذا»(1).

(1) أخرجه أحمد (5/ 360) والترمذى (3689) والحاكم فى المستدرك (3/ 285) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (7894).

وعن أبي هريرة ﭬ أن النبي، قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنة».

قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طُهوراً في ساعة من ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطُّهور ما كُتب لي أن أصلي»[1].

كرامة ثابتة لشهداء أحد ﭫ

ففي غزوة أحد استُشهد سبعون من أصحاب النبي ﷺ فأخبر النبي ﷺ أصحابه بأن هؤلاء الشهداء قد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضر تشرب من أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب مُعلقة في ظل عرش الرحمن -جل وعلا-.

* وها هي الرواية التي تحكي لنا تلك الكرامة:

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لما أصيب

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨)، قال أبو عبد الله: «دف نعليك»: يعني تحريك نعلك.

إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبلغ إخواننا عنَّا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد؟.. قال الله: أنا أُبلغهم عنكم. فأُنزلت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾[1][2].

بل قال ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أُحد: «أنا شهيدٌ على هؤلاء إنه ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا والله يبعثهُ يوم القيامة يُدمى جُرحه اللون لون دمٍ والريح ريح مسك»[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٢) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، ورواه أبو داود (٢٥٢٠)، في الجهاد: باب في فضل الشهادة، والحاكم (٢/٨٨، ٢٩٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٧).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣١)، والنسائي (٤/ ٧٨) والطبري - ورجاله رجال الصحيح.

كرامة ثابتة لأسد الله (حمزة) بعد موته

فهـا هو حمزة بن عـبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ أسد الله وأسد رسول الله ﷺ الذى استُشهد فى غزوة أُحد. . . لما أراد معاوية رضي الله عنه أن يحـفر عينًا من الماء بعد سنوات طويلة من دفـن شهـداء أُحـد قـال له الناس: لا نسـتطيع أن نحفـر تلك العـين إلا على قـبور الشهـداء. فأمـرهم أن يُخرجـوا أجسـاد الشهـداء وأن يدفنوهم فى مكانٍ آخر.

* فكان حمـزة من بين الذين أخرجوهم من قـبورهم فأصـابت المسحاة طرف رجل حـمزة فنزفت الدمـاء منها وكأنه قـد دُفن منذ ساعات قليلة. . . وكان كل الشـهداء كما هم يوم أن دُفنوا.

* وها هى الرواية التى تحكى لنا قصة هذه الكرامة:

عن جابر بن عبد الله، قال: لما أراد معاويةُ أن يُجرى عينه التى بأُحُـد كتبـوا إليه: إنَّا لا نستطيع أن نُجـريها إلا على قبور الشهداء، قال فكتب: انبشوهم.

قال: فرأيتهم يُحملون على أعناق الرجال كأنهم قومٌ نيام، وأصابت المسحاةُ طرف رجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دمًا[1].

وهكذا يؤيد الله أولياءه بالنُّصرة والتأييد وبالكرامات في حياتهم وبعد موتهم، ثم يرزقهم بالنعيم المقيم في جنته.

عكاشة رضي الله عنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب

وها هو النبي ﷺ يخبر أصحابه بأنه في ليلة الإسراء عُرضت عليه الأمم.

فرأى نبيًّا قد جاء يوم القيامة ومعه عدد قليل قد آمن معه... ورأى نبيًّا قد جاء ومعه رجلان قد آمنا معه.. ونبيًّا آخر ومعه ثلاثة.

وفجأة رأى النبي ﷺ عددًا كبيرًا فظن أنهم أمته

[1] الطبقات/ لابن سعد (٣/ ٧).

فقالت له الملائكة: هذا نبى الله موسى وأمته... ثم قيل للنبى: انظر إلى هؤلاء فنظر النبى ﷺ فوجد عدداً كبيراً جداً فقالت له الملائكة: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فأخذ الصحابة يتساءلون فيما بينهم عن هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.. فخرج عليهم النبى وقال لهم: هم الذين لا يسترقون - أى لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم - ولا يكتوون - أى لا يستعملون العلاج بالكى - وعلى ربهم يتوكلون.

فقام الصحابى الجليل عكاشة بن محصن وقال: يا رسول الله: هل أنا منهم؟

قال ﷺ: أنت منهم.

فقام رجل آخر وقال: يا رسول الله هل أنا منهم؟

قال ﷺ: «سبقك بها عُكاشة».

* وها هى الرواية التى تحكى لنا هذه الكرامة:

قال سعيد بن جبير: حدثنا ابن عباس، أن رسول الله

ﷺ قال: «عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي يمرُّ ومعه الرهط، والنبي يمر ومعه الثلاثة والاثنان، والنبي يمر ومعه الرجل الواحد، والنبي يمر وليس معه أحد، إلى أن رُفع لي سوادٌ عظيم فقلت: هذه أُمتي. قيل: ليس بأُمتك، هذا موسى وقومه. إلى أن رُفع لي سوادٌ عظيم. قد سَدَّ الأفق، فقيل: هذه أُمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب».

قال: ثم دخل النبي ﷺ فخُضنا في أولئك السبعين، وجعلنا نقول: من الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب؟ أهم الذين صحبوا النبي ﷺ؟ أم هم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئًا؟

إلى أن خرج النبي ﷺ فقال: «ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟». قال: فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسترقُون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلُون».

فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟

قال: «أنت منهم».

وقام رجل آخر من المهاجرين فقال: أنا منهم يا رسول

الله؟ قال: «سبقك بها عكاشة»[1].

ثقتها بربها ردّت إليها بصرها

كان المشركون يعذبون المسلمين عذابًا شديدًا وكان من جملة هذا العذاب أنهم كانوا يلقون المرأة المسلمة ويحملون لها مكاوى الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها، وممن عُذِّب بهذا العذاب (زِنِّيرة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قال المشركون: «ما أصاب بصرها إلا اللات والعُزَّى»[2]، فقالت لهم: «والله ما هو كذلك، وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، والله قادر على أن يرد عليَّ بصرى»، قيل: «فردَّ عليها بصرها»، فقالت قريش: «هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم»... وقد اشتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنها [3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) صنمان من أصنام المشركين التي كانوا يعبدونها.

(٣) السيرة/ لابن هشام (١/ ١٢٦).

سقاية من السماء وإسلام بالجملة

لما أسلمت (أم شريك) أخذت تدخل على نساء مكة وتدعوهن إلى الإسلام فأسلم عدد كبير من النساء على يديها.

فلما علم المشركون بذلك أخذوها ليردوها إلى قومها ووضعوها على بعيرٍ ومنعوا عنها الطعام والشراب.

وبينما هم في الطريق إذ وقفوا ليستريحوا وتركوها في الشمس بلا طعام ولا شراب فوجدت دلوًا ينزل من السماء عليها فأخذته وشربت منه ثم أفاضت سائر الماء على جسدها.

فلما أراد المشركون أن يرحلوا وجدوا الماء على ثيابها فظنوا أنها أخذت من مائهم فقالت لهم: لقد نزل دلو من السماء فشربتُ... فذهبوا إلى أوانيهم فوجدوا الماء كما هو فعلموا أن الله سقاها من السماء فأسلموا جميعًا وعلموا أن دين محمد ﷺ هو خير الأديان.

* وها هو ابن عباس ﷺ يحكي لنا هذه القصة:

قال ابن عباس ﷺ: «وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة، فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا، فتدعوهن، وتُرغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها، وقالوا لها: «لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم»، قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني، ولا يسقوني، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا وقفوني في الشمس واستظلوا، وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع عليَّ منه ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ثم رُفع مني، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً، ثم رُفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مرارًا حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: «انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟» فقلت: «لا

والله ما فعلت ذلك... كان من الأمر كذا وكذا»، فقالوا: «لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا» فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتهم[1].

قصة الأسد مع (سفينة) مولى رسول الله ﷺ

إن الكون كله يشعر بطاعتك لله وهو كذلك يشعر بمعصيتك لله، ولذلك لما أطاع أصحاب الرسول ﷺ ربهم -جل وعلا- سخَّر الله لهم كل شيء حتى الوحوش. وها نحن نعيش مع قصة مولى رسول الله ﷺ (سفينة) مع الأسد لنعلم كيف يسخر الله الكون كله للمؤمن.

وخلاصة القصة أن (سفينة) مولى رسول الله ﷺ، قال: ركبت البحر فانكسرت بي سفينتي التي كنتُ فيها فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحني اللوح إلى أجمة[2]

(١) الإصابة (٨/ ٣٤٨) - حلية الأولياء (٢/ ٦٦).

(٢) الأجمة: الشجر الملتف والجمع أجم مثل قصبة وقصب والآجام جمع الجمع والأجم بضمتين الحصن وجمعه آجام مثل عنق وأعناق.

فيها الأسدُ، فدخلتُ فخرج إليَّ الأسدُ، فأقبل إليَّ فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسهُ وأقبل إليَّ يدفعني بمنكبيه، فأخرجني من الأجمة، ووقفني على الطريق ثم هَمْهَمَ، فظننتُ أنه يودعُني فكان هذا آخر عهدي به[1].

الحسن والحسين رضي الله عنهما يمشيان في ضوء برقة برقت لهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعًا رفيقًا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدًا ها هنا وواحدًا ها هنا، فجئته فقلت: يا رسول الله! ألا أذهب بهما إلى أمهما قال: «لا» فبرقت برقةٌ، فقال: إلحقا بأمكما، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا[2].

---

(1) رواه الحاكم والبيهقي وأبو يعلى والبزار.

(2) رواه أحمد والبزار بإسنادٍ حسن.

أم أيمن تشرب من (دلو) مدلى من السماء

إن (أم أيمن) هي حاضنة النبي ﷺ بعد موت أمه.

وأم أيمن اسمها (بركة الحبشية) وكانت من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

هاجرت أم أيمن من مكة إلى المدينة وليس معها زادٌ، فلما كانت عند الرَّوحاء، وذلك عند غيبوبة الشمس عطشت عطشًا شديدًا، قالت: فسمعت حفيفًا شديدًا فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا دلوٌ مُدلَّى من السماء برشاء أبيض فتناولته بيدي حتى استمسكت به، قالت: فشربتُ منه حتى رُويتُ، قالت: فلقد كنت أصوم بعد تلك الشربة في اليوم الحار الشديد، ثم أطوف في الشمس كي أظمأ فما ظمئت بعد تلك الشربة[1].

❊ ❊ ❊

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٤/ ٤٣٢).

شعر رسول الله ﷺ في قلنسوة خالد بن الوليد ﷺ

خالد بن الوليد رضي الله عنه هو سيف الله المسلول... وهذه هي أعظم كرامة لخالد أن يصفه النبي ﷺ بقوله: «خالد ابن الوليد سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين»(١).

ولما كان خالد يقاتل في معركة اليرموك حدث له شيء عجيب فلقد فَقَدَ قلنسوة (طاقية) كان يلبسها فأخذ الناس يبحثون عنها حتى وجدوها فإذا هي قلنسوة قديمة فقال لهم خالد: لقد اعتمر رسول الله ﷺ فلما حلق رأسه تسابق الناس على شعره فسبقتهم وأخذت الشعر الذي في ناصية رأسه ووضعته في هذه القلنسوة.. فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقني الله النصر على الأعداء بفضله وكرمه.

* وها هي القصة كما جاءت في هذه الرواية:

فَقَدَ خالد بن الوليد قلنسوة له يوم اليرموك فقال:

---

(١) رواه أحمد وابن عساكر وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٠٧).

اطلبوها فلم يجدوها ثم طلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة خَلِقَةٌ (قديمة) فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناسُ جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقتُ النَّصرَ(١).

قلت: والنصر أولاً وآخرًا من عند الله - عز وجل -.

جبريل وميكائيل يقاتلان مع أبي بكر وعليّ رضي الله عنهما

نحن نعرف أن الله -جل وعلا- إذا أحب عبدًا فإنه يجعل أهل السماء وأهل الأرض يحبونه... ولذا قال النبي ﷺ: «إنَّ الله تعالى إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال: إني أُحبُّ فُلانًا فأحبه، فيُحبُّهُ جبريلُ، ثم يُنادي في السماء فيقولُ: إن الله تعالى يحبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيحبُّهُ أهلُ السماء، ثم يوضعُ لهُ القبولُ في الأرض»(٢).

(١) رواه الحاكم والطبراني وأبي يعلى بإسناد حسن.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٧).

* فالعبد المؤمن يعرفه أهل السماء ويحبونه.

ولذلك أخبر النبي ﷺ بأن جبريل وميكائيل - عليهما السلام - يقاتلان مع أبي بكر وعلي بن أبي طالب ﭭ فقال لهما ﷺ: «مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل مَلَكٌ عظيم يشهد القتال»[1].

الله يزوج زينب بنت جحش من فوق سبع سماوات

أراد النبي ﷺ أن يُزَوِّج زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فرفضت لأنها هي الحسيبة الجميلة وهي ابنة عمة النبي ﷺ ... أما زيد بن حارثة فلقد كان مولى من الموالي الفقراء.

فلما نزل قول الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[2] قالت: يا رسول

---

(1) رواه أحمد (١/ ١٤٧) والحاكم (٣/ ١٣٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه. وأشار الذهبي إلى أنه على شرط مسلم.

(2) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

الله أترضاه لي زوجًا؟. قال: «بلى».

قالت: إذن لا أعصي أمر رسول الله ﷺ.

فلما تزوجها زيد حدث بينها بعد ذلك خلافٌ شديد انتهى بطلاقها فأراد الله -جل وعلا- أن يكافئها، فأمر النبي ﷺ بزواجها من فوق سبع سماوات.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[1].

عن أنس رضي الله عنه قال: «كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن وزوَّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[2].

وفي رواية: أنها كانت تقول: «إن الله أنكحني في السماء»[3].

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٠) والترمذي (٣٢١٣).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢١) وأحمد (٢٢٠٣١).

الله يقرئ خديجة السلام

إن خديجة ﵂ أم المؤمنين هي المرأة الوفية التي وقفت بجانب النبي ﷺ وآزرته ونصرته وكانت أول من آمن من النساء ولم تتأخر عن نُصرة النبي ﷺ حتى آخر لحظة في حياتها.

فلما اقترب أجلها أرسل الله جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ليُبلِّغ سلامه إلى خديجة وليبشرها بأنه أعدَّ لها في الجنة قصراً من اللؤلؤ المجوف جزاءً لها على ما قدمته للإسلام وللرسول ﷺ.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﵁ أنه قال: أتى جبريلُ النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنِّي وبشرها ببيتٍ في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

وفي رواية عن أنس أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: «إن الله يُقرئُ خديجة السلام»

فقـالت: إن الله هو السلام وعلى جبـريل السلام وعليك السـلام ورحمة الله وبركاته [١].

الله يُنزل براءة عائشة ﭭ من حادثة الإفك

فـفى تلك القـصة التى اتُهمت فيهـا الطاهرة العفيـفة التقيـة النقية عائشـة ﭭ... تلكم الزهرة التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى.

فى تلك الحادثة التى اتُهمت فيـها أمنا عائشة ﭭ فى عِرضـها، وهى التى فاضت طُـهارتها وعـفتهـا على نساء العالمين.

وإذا بالحق -جل وعـلا- الذى يدافـع عن الذين آمنوا يُنزل فى شأنها قـرآنا يُتلى إلى يوم القيامة ليُـسطِّر براءتها على مرأى ومسمع من الكون كله.

فـفى آخر تلك القـصة التى رواها الإمام البـخـارى:

(١) رواه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٥٤) وإسناده حسن.

«...... قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يُوحَى إليه في شأني قالت: فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ قالت:

ما أدرى مـا أقول لرسـول الله ﷺ قالت: فـقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إنى والله لقد علمت لقد سمـعتم هذا الحديث حتى استـقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقوننى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - الله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقننى والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف (يعقوب): ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1] قالت: ثم تحولت فـاضطجعت على فراشى. قـالت: وأنا حـينئـذ أعلم أنى بريئـة، وأن الله مُـبـرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزل فى شأنى وحيًا يُتلى، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمـرٍ يُتلى، ولكن كنت أرجـو أن يرى رسـول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرؤنى الله بها قـالت: فوالله ما رام رسـول الله ﷺ ولا خرج أحـد من أهل البيت حـتى أُنزل عليه، فأخـذه ما كان يأخذه من البُـرحاء، حتى إنه

(١) سورة يوسف: الآية: (١٨).

ليتحدَّرُ منه مثل الجُمان من العرق وهو في يوم شات من ثِقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك.. فقالت أمي: قومي إليه قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل... وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾[1] العشر الآيات كلها......».

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة النور: الآية: (١١).

جبريل - عليه السلام - يسلم على عائشة رضي الله عنها

فغى يومٍ من الأيام كان النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فبشرها ببشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فلقد أخبرها النبي ﷺ أن أمير الملائكة جبريل - عليه السلام - يُقرئها السلام.

قال أبو سلمة: إن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «يا عائشُ هذا جبريل يُقرِئُك السلام»، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته: ترى ما لا أرى، . . . تريد رسول الله ﷺ[1].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧) والترمذي (٣٨٨١).

جعفر بن أبي طالب يطير بجناحيه في الجنة مع الملائكة

لما خرج جعفر بن أبي طالب ﭬ مع الجيش الذي أرسله النبي ﷺ في سرية (مؤته).. وكان النبي ﷺ قد أمَّر على الجيش ثلاثة (زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة).

فلما قُتل زيد بن حارثة أخذ الراية جعفر بن أبي طالب وأخذ يقاتل قتالاً شديداً حتى قُطعت يده اليمنى فأخذ الراية بشماله فقُطعت ثم جعل الراية بين عضديه حتى قُتل شهيداً فأبدله الله بدلاً من يديه جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة.

عن ابن عباس ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»[1].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

«وكان ابن عمر إذا حيًا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[1].

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوَّضه عن يديه بجناحين في الجنة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»[3].

وقال عبد الله بن جعفر: قال لي رسول الله ﷺ: «هنيئًا لك!! أبوك يطير مع الملائكة في السماء»[4].

وعن ابن عباس مرفوعًا: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه»[5].

* * *

---

(1) صحيح: رواه البخاري (9 - 37) المغازي.

(2) البداية والنهاية لابن كثير (3/256).

(3) صحيح: رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة - صحيح الجامع (3459).

(4) قال الحافظ في الفتح (7/96): أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

(5) قال الحافظ في الفتح (7/96): وإسناد هذه جيد.

كرامة ثابتة لعمرو بن الجموح بعد موته

عمرو بن الجموح رضي الله عنه صحابى جليل أسلم وذاق طعم وحلاوة الإيمان.

وكانت نفسه قد اشتاقت إلى الجهاد فى سبيل الله والشهادة فى سبيله ليكفِّر الله عنه ما أسلف من الذنوب والسيئات. وذلك لأنه أسلم وكان عمره قد جاوز الستين من عُمره.

فلما كانت غزوة بدر أراد (عمرو) أن يخوضها فمنعه أولاده خوفًا عليه لكبر سنه وضعفه.. فتألم لذلك ألمًا شديدًا.

وتمضى الأيام مسرعة وما زال عمرو تهفو نفسه ويشتاق قلبه إلى الفوز بالشهادة فى سبيل الله على الرغم من أن الله قد عذره من فوق سبع سموات.

لقد كان رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توجهوا إلى أُحُد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك

رُخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بَنِيَّ هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي في الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة»، فخرج مع رسول الله ﷺ، فقُتِل يوم أحد شهيداً [1].

وفي رواية: أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقُتل يوم أُحُد هو وابن أخيه ومولى له. فمرَّ عليه رسول الله ﷺ، فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما

---

(١) صحيح: رواه ابن هشام (٢/١٣٩) عن ابن إسحاق، وبعضه في المسند (٥/٢٩٩) من حديث أبي قتادة، وصحح العلامة الألباني رحمه الله إسناده في تحقيق فقه السيرة هامش (٢٨١).

فجُعلوا فى قبرٍ واحد[1].

وفى أيام معاوية ﮨ كـان السيل قد خرب قـبرهما، فحُفر عنهمـا ليُغيَّرا من مكانهما، فوُجدا لم يتغيرا، كأنما ماتا بالأمس، وكان أحـدهما قـد جُرح، فوضع يده على جرحـه، فـدُفن كذلك. فـأُميطت يده عن جرحـه، ثم أرسلت، فرجعت كما كانت وكان بين يوم أُحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة[2].

النبى ﷺ يسمع صوت حارثة وهو يقرأ القرآن فى الجنة

ففى يومٍ من الأيـام أخبر النبى ﷺ زوجـته عـائشة ﭭ أنه كان نائمًا فرأى نفســه فى الجنة... فسمع صوتًا جميلاً يقرأ القرآن فى الجنة. فسأل الملائكة: من هذا؟

قالوا: هذا حارثة بن النعمان.

فقال النبى ﷺ: «كذاك البر»... أى أنه سمع صوت

(1) قال الحافظ فى الفتح (٣/ ١٧٣): سنده حسن - رواه أحمد (٥/ ٢٩٩).
(2) أخرجه ابن سعد، وقال الحافظ فى الفتح (٣/ ١٧٣): صحيح.

حارثة في الجنة لأن حارثة كان من أبرّ الناس بأمه.

* وها هي أمنا عائشة تحكي لنا هذه الكرامة بنفسها:

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان» فقال لها رسول الله ﷺ: «كذاك البر كذاك البر». وكان أبر الناس بأمه[1].

جبريل عليه السلام يرد السلام على حارثة

قد يتفاخر الإنسان بأنه ذات يومٍ التقى برجلٍ من سادة القوم أو من أصحاب الشهرة فسلَّم عليه.. ولا يستطيع أن ينسى أبدًا هذا اليوم... فما ظنك بمن يسلم عليه أمير الملائكة جبريل عليه السلام.

عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد

(1) قال الأرناؤوط: رواه أحمد (٦/ ١٥١) وأبو يعلى (٧/ ٣٩٩) والحاكم (٣/ ٢٠٨) بسند صحيح.

فسلمت عليه ثم أجزت، فلما رجعت وانصرف النبى ﷺ قال: «هل رأيت الذي كان معي؟» قلت: نعم. قال: «فإنه جبريل وقد ردَّ عليك السلام»[1].

تكفل الله برزق حارثة فى الجنة

وفى يومٍ من الأيام يخبر حارثة بن النعمان رضي الله عنه أنه رأى جبريل عليه السلام مرتين: المرة الأولى: عندما خرج النبى ﷺ إلى غزوة بنى قريظة فرأى حارثة جبريل - عليه السلام - وقد تمثَّل فى صورة الصحابى الجليل (دحية).

والمرة الثانية: عندما كان عائدًا مع النبى ﷺ من غزوة حُنين فكان جبريل يكلم النبى ﷺ فقال جبريل للنبى ﷺ: «من هذا يا محمد؟».

فقال رسول الله ﷺ: «هذا حارثة بن النعمان».

فقال له جبريل: «أما إنه من المائة الصابرة يوم حُنين الذين

---

(1) رواه أحمد (5/ 433) بسند صحيح - وذكره الحافظ فى الإصابة (1/ 298). وقال: إسناده صحيح.

تكفَّل الله بأرزاقهم في الجنة ولو سلَّم لرددنا عليه».

* وها هو حارثة يروى هذه الكرامة بنفسه:

عن حارثة بن النعمان أنه قال: رأيت جبريل من الدهر مرتين: يوم الصَّورتين[1] حين خرج رسولُ الله إلى بنى قريظة، مرَّ بنا فى صورة (دحية)، فأمرنا بلبس السلاح؛ ويوم مَوْضع الجنائز حين رجعنا من حُنين، مررتُ وهو يكلم النبى ﷺ، فلم أسلِّم. فقال جبريل: «من هذا يا محمد؟» قال: «حارثة بن النعمان». فقال: «أما إنه من المائة الصابرة يوم حُنين الذى تكفل الله بأرزاقهم فى الجنة، ولو سلَّم لرددنا عليه»[2].



(١) الصوران: موضع بالمدينة بالبقيع. وفى سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٤): ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة.

(٢) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/ ٣١٤) ونسبه للطبرانى والبزار وقال: إسناده حسن.

كرامات عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه

ففي غزوة أحد قام الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو ابن حرام رضي الله عنه وتجهَّز من أجل أن يخرج للجهاد في سبيل الله وأوصى ابنه جابر بن عبد الله بأن يرعى أخواته وأن يؤدي عنه دَينه.

ثم خرج عبد الله وقال: اللهم خُذ من دمي اليوم حتى ترضى... فسقط شهيدًا في أرض المعركة.. وإذا بالملائكة تنزل وتُظله بأجنحتها حتى رُفع إلى السماء.. وإذا بالحق -جل وعلا- يكلمه بغير حجاب ويطلب منه أن يتمنى أي أمنية فإذا به يتمنى أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى لكي يقاتل في سبيل الله ويُقتل مرة ثانية... ولكن الله - عز وجل - قضى أن من خرج من دار الفناء (الدنيا) لا يرجع إليها مرة أخرى فسأل الله أن يُخبر المسلمين بأجر الشهداء ومنزلتهم فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(1).

---

(1) سورة آل عمران: الآية: (169).

* وها هو جابر بن عبد الله يحكي لنا ما حدث لأبيه من تلك الكرامات:

فعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد، جيء بأبي مُسجَّى - مُغطّى - وقد مُثِّل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي، ثم أردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي، فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فَرُفِع. فسمع صوت باكية أو صائحة. فقال: «مَنْ هذه؟» فقالوا: بنت عمرو، أو أختُ عمرو. فقال: «ولِمَ تبكي؟ فما زالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رُفع»(١).

* وها هي أعظم منقبة لهذا الصحابي الجليل الذي جمع الله له مناقب كثيرة... ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب.

فعن جابر بن عبد الله قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو ابن حَرَام، يوم أُحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله - عز وجل - لأبيك؟».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧١).

قلتُ: بلى، قال: «ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا [1]، فقال: يا عبدى تمنَّ علىَّ أُعطك، قال: يا رب تحيينى فأُقتلُ فيك ثانية. قال: إنه سبق منى أنهم إليها لا يُرجعون.

قال: يا رب فأبلغ مَن ورائى»، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية: «﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2]» [3].

* بل إن معاوية ﭬ لما أراد أن يحفر عين ماء فأخبره الناس أنه لابد من حفر تلك العين على قبور شهداء أحد.. فأمر أن يُخرجوهم من قبورهم وأن يضعوهم فى قبورٍ أخرى.

فحفروا وأخرجوهم فكأنهم قد دُفنوا منذ ساعات معدودات وكان عبد الله قد أصابه جُرح فى وجهه وكانت يده على جُرحه يوم أن دُفن منذ ستٍ وأربعين سنة.. فلما أزاحوا يده عن وجهه نزف الدم من وجهه فلما

---

(١) كفاحًا: أى: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول... وهذا بعد موته أما قبله فلا.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٠١٣) وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٤) ووافقه الذهبى.

أعادوا يده على وجهه سكن الدم ولم ينزف.

فيا لها من كرامة لهذا الصحابي الجليل.

العباس يدعو... والسماء تُمطر

كان الصحابة ﷺ إذا تأخر المطر وأجدبت الأرض يذهبون إلى النبي ﷺ ويطلبون منه أن يدعو الله -جل وعلا- لكي يُنزل عليهم المطر فكان النبي ﷺ يدعو فيُنزل الله عليهم المطر ويسقيهم الغيث. فلما مات النبي ﷺ وتأخر المطر وأجدبت الأرض خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقال: اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا (أي: بدعاء نبينا) فتسقينا.. وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا (أي: العباس) فاسقنا.. فكان العباس يدعو ويقول: - «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض

وعاش الناس. وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة.

عن أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسلُ إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيُسقَون[1].

الله يستجيب دعاء (ابن أم مكتوم) ويُنزل عُذره

لما أنزل الله على نبيه ﷺ آيات من القرآن تحض المسلمين على الجهاد في سبيل الله تعالى وترفع شأن المجاهدين على القاعدين.. وإذا بعبد الله ابن أم مكتوم يحزن حزنًا شديدًا ويرفع يديه إلى السماء ويقول: أى رب أنزل عُذرى.... وذلك لأنه كان أعمى لا يستطيع أن يجاهد.

فاستجاب الله دعاءه وأنزلت ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠١٠).

فعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملُّها عليَّ قال: يا رسول الله: والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن تُرضَّ فخذي ثم سُرِّي عنه فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾[1][2].

الله يحمي جسد (عاصم بن ثابت) من المشركين

ففي غزوة أحد كان عاصم بن ثابت ﷺ أحد الأبطال الشجعان الذين سطَّروا على جبين التاريخ سطوراً من النور.

وفي تلك الغزوة استطاع عاصم أن يقتل عدداً من المشركين كان من بينهم زوج امرأة اسمها (سُلافة بنت

(1) سورة النساء، الآية: (95).
(2) صحيح: رواه البخاري (4592).

سعد) بل وقتل أولادها الثلاثة (مُسافع وكلاب والجلاس).

فلما انتهت الغزوة ذهبت (سُلافة) تبحث عن زوجها وأولادها الثلاثة فوجدت زوجها مقتولاً ففزعت وأخذت تبحث عن أولادها فوجدتهم قد قُتلوا وفارقوا الحياة إلا (الجُلاس) فقد وجدته في الرمق الأخير فسألته: من الذي قتلكم؟

فقال لها: قتلنا جميعًا رجل اسمه عاصم بن ثابت... ثم مات الجُلاس.

كادت المرأة أن تُصاب بالجنون... وجعلت تبكي وتنوح.. وأقسمت أن تنتقم من عاصم بن ثابت وأن تشرب الخمر في عظم رأسه بعد أن تقتله.

وقامت لتخبر الناس جميعًا أنها قد جعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأس عاصم بن ثابت.

* فلما كان في (يوم الرجيع) كان النبي ﷺ قد بعث عشرة من أصحابه وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت..

فلمـا وصلوا إلى مكان اسمـه (الهدة) قام مـائة رجل من المشركـين وأحاطوا بهم وقـالوا لهم: انزلوا ولكم العـهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا.

فقال عاصم لأصحابه: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر..

ثم قال: اللهـم أخبر عنًا نبـيك ﷺ.. فرموهـم بالنبال حتى قـتلوا عاصم بن ثابت فقال وهو في الرمـق الأخير: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحمِ جسدي آخره.

فلما قُـتل عاصم أراد الناس أن يأخذوا رأسه ليـفوزوا بالجـائزة التي أعلنت عنـها (سُـلافـة) وهي المائة ناقـة.. فجـاءت جماعـات النحل والزنابير وأخـذت تلدغ الناس حتى أبعدتهم عن جسده.

فـقـال الناس: دعـوه حتى يأتي اللـيل فتـذهـب تلك الزنابير والنحل فنأخذه فبعث الله سيـلاً كبيرًا فأخذ جسد عاصم إلـى مكان لا يعرفـه أحد وصان اللـه رأس عاصم الكريمة من أن يُشرب في قحفها الخمر.

حمى دينه، فحُمي جسده.



لم يمس مشركًا في دنياه فلم يمسه مشرك بعد موته.

البراء بن مالك يقسم على الله فيبرّ قسمه

قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طِمرين لا يؤبَه له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك»[1].

وعن أنس مرفوعًا قال: «كم من ضعيفٍ متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراء بن مالك»[2].

فلم ينسَ أصحاب النبي ﷺ تلك المنقبة للبراء.

وظل بطلنا في شوق وحنين لتلك الأمنية الغالية - ألا وهي الشهادة في سبيل الله - إلى أن جاء يوم فتح «تُستر» من بلاد «فارس»، فقد تحصَّن «الفُرس» في إحدى القلاع المردة، فحاصرهم المسلمون وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، فلما طال الحصار واشتد البلاء على «الفرس»،

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٥٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

جعلوا يدلون من فوق أسوار القلعة سلاسل من حديد، عُلقت بها كلاليب من فُولاذ حُميت بالنار حتى غدت أشد توهجًا من الجمر، فكانت تنشبُ فى أجساد المسلمين وتعلقُ بها، فيرفعونهم إليهم إما موتى وإما على وشك الموت.

فعلق كُلاب منها بأنس بن مالك - أخى البراء بن مالك - فما إن رآهُ البراء حتى وثب على جدار الحصن، وأمسك بالسلسلة التى تحملُ أخاهُ، وجعل يُعالج الكُلاب ليُخرجه من جسده، فأخذت يدهُ تحترق وتُدخن، فلم يأبه لها حتى أنقذ أخاهُ، وهبط إلى الأرض بعد أن غدت يده عظامًا ليس عليها لحم.

ولما اشتد القتال، وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا فى المسلمين،

فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: «أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيي ﷺ»، فمنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيداً[1].

الملائكة تستمع لقراءة أسيد بن الحضير

لما أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة كاد (أسيد) أن يطير قلبه فرحًا بقدوم الحبيب ﷺ ليقبس من علمه وهديه وأخلاقه.. وقبل ذلك كله ليسعد برؤية الحبيب ﷺ ولينعم بمرافقته.

ومنذ تلك اللحظة الخالدة وأسيد بن حُضير ينهل من هذا المعين العذب وهو يصوم النهار ويقوم الليل ويعيش مع آيات القرآن ويقرؤه بكل حُب وإخلاص لدرجة جعلت أصحاب النبي ﷺ يترقبون تلك الساعات التي يقرأ فيها (أسيد) القرآن، ويتسابقون إلى سماع تلاوته.

وليس هؤلاء فحسب... بل إن ملائكة الرحمن نزلت

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

بأمر الله لتستمع إلى (أُسيد) وهو يقرأ القرآن.

فعن أبي سعيد الخدري: أن أُسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مِربده[1] إذ جالت[2] فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضًا، قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يحيى[3]، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلَّة[4] فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير!» قال: فقرأت. ثم جالت أيضًا، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير!» قال: فقرأت. ثم جالت أيضًا. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: (فانصرفت) وكان يحيى قريبًا منها خشيتُ أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول

(١) هو الموضع الذي ييبس فيه التمر كالبيدر للحنطة ونحوها - قاله النووي.
(٢) جالت أي: وثبت. قاله النووي (٢/ ٤٥٠).
(٣) يحيى هو ابن أسيد.
(٤) هي ما يقي من الشمس كسحاب أو سقف بيت.

الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»[1].

الملائكة تسلم على (عمران بن حصين)

إن التوكل نعمة عظيمة لا يظفر بها إلا كل مؤمنٍ تقي قد لامس الإيمان شغاف قلبه.. وكان من بين هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بنعمة التوكل (عمران بن حُصين).

فقد كان عمران قد أُصيب بمرضٍ.. وكان الناس قد وصفوا له علاجًا بالكيِّ ولكنه رفض ذلك لأنه سمع أن النبي ﷺ كان يكره العلاج بالكي وذلك لخطره الشديد على الإنسان.

فلما امتنع عمران عن العلاج بالكيِّ كانت الملائكة تأتي إليه كل يوم وتُسلم عليه... فلما اشتد به المرض ذهب واكتوى فانقطع سلام الملائكة... فلما ترك العلاج بالكيِّ عادت الملائكة تُسلم عليه مرة أخرى.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٩٦) وأحمد (٣/ ٨١).

* عن مطرف قال: «بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي تُوفِّي فيه، فقال: إني كنت مُحدثك بأحاديث، لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عني، وإن متُّ فحدِّث بها إن شئت... إنه قد سُلِّم عليّ»[1].

وفي رواية أنه قال: وقد كان يُسلِّم عليَّ حتى اكتويت فتُرِكتُ ثم تَركت الكيَّ فعاد[2][3].

* * *

(١) يعني أن الملائكة سلمت عليه، ومراده بقوله: (إن عشت فاكتم عني، وإن مت فحدث بها إن شئت) أي لا تخبر أحداً في حياتي أني أخبرتك أن الملائكة تسلم عليَّ، وذلك والله أعلم خشية الفتنة بإشاعة هذا الأمر بين الناس.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢٢٦).

(٣) قال النووي - رحمه الله - (في شرح مسلم): ومعنى الحديث أن عمران بن حصين ﷺ كانت به بواسير فكان يصبر على المهمات وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكيَّ فعاد سلامهم عليه.

امتلأ قلبه بالتوحيد فسخر الله له عصاه

إن القلب إذا امتلأ بالتوحيد ونور الإيمان واليقين فإن الله يسخِّر الكون كله من أجل هذا الإنسان.

كما قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[1].

وكما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2]

وكما قال تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

وها هو الصحابي الجليل (عبّاد بن بشر) ﷺ يكرمه

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٠).

(٢) سورة الشعراء: الآيات: (٦١- ٦٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٣٧).

الله بكرامة يحلو ذكرها في هذا الموضع.

عن أنس أن أسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء قال: فلما خرجا من عنده أضاءت عصا أحدهما فكانا يمشيان في ضوئها فلما تفرَّقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا [1].

كان يؤثر الموت على أن يقطع قراءة القرآن

وها هو ﷺ يقف موقفًا يعجز القلم عن وصفه ولو اجتمع جميع الأدباء والشعراء ما استطاعوا أن يصفوا مدى عظمة هذا الموقف الذي يندر تكراره عبر العصور والأزمان.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصاب (رجلٌ) امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً - راجعًا - أتى زوجها وكان غائبًا، فلما أُخبر الخبر

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٠) والنسائي في فضائل الصحابة (١٤١) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ(١)، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسولُ الله ﷺ منزلاً، فقال: «مَن رجلٌ يكلؤنا(٢) ليلتنا هذه؟» قال: فانتُدب رجلٌ من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشِّعب»، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادي، (وهما عمار بن ياسر وعبَّاد بن بشر)، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصاريُّ للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله، قال: ونام (عمار بن ياسر) وقام (عباد) ينظر إلى الكون من حوله، فإذا به يرى الليل هادئًا وكأن الكون كله يُسبِّح بصوتٍ خافت فتاقت نفسه إلى أن يقرأ وهو يصلي - ليجمع بين الحُسنيين - : فاضطجع المهاجري (عمار) فنام وقام الأنصاري (عباد) يصلي.

---

(١) أي يصيب دمًا.

(٢) يكلؤنا: يحفظنا أو يحرسنا.

قال: وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[1] القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائمًا، قال: ثم رماه سهمًا آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائمًا، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ[2] صاحبه فقال: اجلس فقد أُثبتُّ[3]، قال: فوثب، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتنى - أيقظتنى - أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أُحبَّ أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع علىَّ الرمى ركعتُ فآذنتك، وايم الله لولا أن أُضيع ثغرًا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها [4].

❊ ❊ ❊

---

(١) الربيئة: الطليعة للذي يحرس القوم.

(٢) (٣) أهب: أيقظ - أُثبتُّ: أي جُرحتُ جرحًا لا يمكن التحرك منه.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣/٣٤٣).

رؤيا غالية يوم الشهادة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت عبَّاد بن بشر رضي الله عنه يقول: يا أبا سعيد! رأيت الليلة كأن السماء قد فُرجت لي ثم أُطبقت عليَّ؛ فهي - إن شاء الله - الشهادة. قال: قلت: خيرًا والله رأيت. قال: فأنظر إليه يوم اليمامة وإنه يصيح بالأنصار: احطموا جفون السيف، وتميزوا من الناس، وجعل يقول: أخلصونا! أخلصونا! فأخلصوا أربعمائة رجل من الأنصار ما يخالطهم أحد، يقدمهم عباد بن بشر، وأبو دجانة، والبراء بن مالك رضي الله عنهم حتى انتهوا إلى باب الحديقة، فقاتلوا أشد القتال، وقُتل عباد بن بشر؛ فرأيت بوجهه ضربًا كثيرًا ما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده[1].

وهكذا نزفت دماءٌ لطالما امتزجت بحُب القرآن وتعطرت بمحبتها لله ولرسول الله ﷺ ليلحق صاحبها بحبيبه ﷺ الذي كان لا يغيب عنه لحظة واحدة.

(١) الطبقات / لابن سعد (٣/ ٤٤١).

فقد كان قلبه يردد دائمًا تلك الأنشودة الخالدة.

غـــــدًا نلقى الأحــــبــــة

مـــحـــمـــــدًا وحـــزبـه

خالد بن الوليد يشرب السُّم فلا يضره

في ظل تلك الفـتوحات الإسـلامية التي قـادها سيف الله خالـد بن الوليد رضي الله عنه قابـله رجل اسمه (ابن بـقيلة) وهو زعيم أهل الحـيرة وحكيم نصارى العـرب فدخل ابن بقيلة على خيمة خالد بن الوليد وفي يده كيس.

فسأله خالد: ما هذا الكيس الذي في يدك؟

فقال ابن بقيلة: إنه سُمٌّ شديد الفتك سريع القتل.

فقال خالد: ولماذا تحمل هذا السم؟

فقال ابن بقيلة: خشيت ألا تكون عادلاً فأتيت بالسُّم.. فالموت أحب إليَّ من أن أدخل على أهل قريتي مكروهًا.

فـتبـسم خالد وأخـذ السم من يد ابن بقـيلة وتلا هذا الدعاء: «إنها لن تموت نفس حـتى تأتي على أجلها، بسم

الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم». ثم وضع السم في فمه، وبادروه ليمنعوه، ولكنه قد سبقهم فابتلعه، وانتظروا ساعة ليصرع السُّمُّ خالدًا، فمضت ولم يضر السم خالدًا.

كيف لا وهو من أكابر أولياء الله المتقين، وسيد المجاهدين في الشام والعراق، فقال عندها ابنُ بقيلة: «والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم».

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: هذه والله الكرامة وهذه الشجاعة[1].

عامر بن فهيرة استشهد فرُفع إلى السماء

فالقصة باختصار أن عامر بن مالك جاء إلى النبي ﷺ وكان عامر مشركًا فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام. فقال له عامر: ابعث يا رسول الله معنا بعض

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبي (١/ ٣٧٦).

أصحابك ليدعو الناس إلى الإسلام وأنا أتكفل بحمايتهم فصدَّقه النبي ﷺ وأرسل معه جماعة من أصحابه من حَمَلَة القرآن.

فسمع بهم عامر بن الطفيل فأرسل إلى بعض الرجال من بني سُليم ليساعدوه على قتل هؤلاء الصحابة فخرجوا معه وقتلوا الصحابة في مكان يُسمى بئر معونة وأسروا عمرو بن أمية الضمري... أخذه عامر بن الطفيل ثم تركه فعاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر أصحابه الذين قُتلوا.

عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: لما قُتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قُتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظر إليه بين السماء والأرض، ثم وُضع.

ويقال: إنه بعد قتل عامر بن فهيرة بحث الناس عن

جسده فلم يجدوه فكانوا يرون أن الملائكة هى التى دفنته.

وفى القصة كرامة ظاهرة لعامر بن فهيرة مولى أبى بكر.

وهكذا فالجزاء من جنس العمل... فلقد كان عامر يرفع الطعام إلى النبى ﷺ فرُفع إلى السماء... ولقد كان عامر يدفن سر النبى ويخفى آثاره فتولت الملائكة دفنه والجزاء من جنس العمل.

وهكذا يكون العمل لدين الله.

فمهما كان العمل صغيرًا أو كبيرًا فما عليك إلا أن تجتهد لخدمة هذا الدين... فهذا عامر ﷺ كان يذهب بالغنم إلى الحبيب ﷺ وأبى بكر ليشربا اللبن، ومع ذلك لم يقل: إن هذا العمل صغير أو ضئيل؛ لأنه يعلم بل ويوقن أن الجدار العظيم لهذا الدين يحتاج إلى كل السواعد فهذا يأتى بالماء وذاك يحمل اللبنة على كتفه وآخر يبنى ويشيد، وبذلك تتكامل سواعد الأمة.

وعلى قدر النية والإخلاص يكون الأجر من الله والنجاح فى القيام بهذا العمل.

الملائكة تُغسل حنظلة رضي الله عنه

لما أحسَّ حنظلة بحاجته إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه.

ذهب وتزوج (حنظلة) جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول. فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له. فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأُحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها - جامعها - وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها. فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة. وعلقت بعبد الله بن حنظلة (أي حملت وأنجبت بعد ذلك عبد الله بن حنظلة).

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان. فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول

الله ﷺ : «إني رأيت الملائكة تُغسِّل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المُزن في صحاف الفضة»(١).

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : «إن صاحبكم تغسله الملائكة» فسألوا صاحبته عنه - زوجته - فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنُب، فقال رسول الله ﷺ : «لذلك غسلته الملائكة»(٢).

الله يأمر النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على (أُبي بن كعب)

ويا لها من منقبة يعجز اللسان عن وصفها ويعجز القلم عن التعليق عليها ولو بكلمة واحدة.

لك أن تتخيل معي أيها الإبن الحبيب أن الله قد ذكر اسمك من فوق سبع سماوات وليس ذلك فحسب، بل إن الله يأمر نبيه ﷺ أن يقرع عليك بابك ويقول لك: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن!!!

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٤) معرفة الصحابة مختصراً.
(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤).

تالله لو كنت مكان أبي بن كعب رضي الله عنه لتمنيت أن ألقى الله في تلك اللحظة لتكون تلك المنقبة هي خاتمة السعادة.

فهيا بنا نعيش تلك اللحظات مع الفرحة الغامرة التي ملأت قلب (أبي) سعادة وسرورًا.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» وفي لفظ: «أمرني أن أُقرئك القرآن». قال: آلله سمَّاني لك؟ قال: «نعم» قال: وذُكرت عند رب العالمين؟ قال: «نعم». فذرفت عيناه[1].

وفي رواية: عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه قال: قال أُبيُّ بنُ كعب: قال لي رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقرأ عليك القرآن» قلت: يا رسول الله! وسُمِّيت لك؟ قال: «نعم» قلت لأبي: فرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[2][3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩).

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٢٢، ١٢٣) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٥١).

قال الإمام النووى رحمه الله: فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس. وقيل: إنما بكى خوفًا من تقصيره فى شكر هذه النعمة...»[1].

دعوة مستجابة

عن أبى سعيد الخدرى أن رجلاً من المسلمين قال: يا رسول الله! أرأيت هذه الأمراض التى تُصيبنا ما لنا فيها؟ قال: «كفارات»، فقال أُبى بن كعب: يا رسول الله! وإن قلَّت؟ قال: «وإن شوكة فما فوقها» فدعا (أُبى) ألا يفارقه الوعك حتى يموت، وألا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صلاة مكتوبة فى جماعة. قال: فما مسَّ إنسان جسده إلا وجد حرَّه حتى مات.

وفى رواية: قال أُبَىٌّ: يا رسول الله! ما جزاءُ الحُمَّى؟ قال: «تُجرى الحسنات على صاحبها». فقال: اللهم إنى أسألك حُمى لا تمنعنى خروجًا فى سبيلك. فلم يُمس أُبى قطُّ إلا وبه الحُمى[2].

(١) مسلم بشرح النووى (١٦/ ٣٠-٣١) بتصرف.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٣) وصححه ابن حبان (٦٩٢) - ورواه الطبرانى (٥٤٠).

ابن عباس ﷺ يرى جبريل (عليه السلام)

عن ابن عباس، قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ، وكان كالمُعرِض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال: ألم ترَ ابن عمك كالمُعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجلٌ يُناجيه. قال: أوَ كان عنده أحدٌ؟ قلتُ: نعم. فرجع إليه، فقال: يا رسول الله، هل كان عندك أحدٌ؟ فقال لي: «هل رأيته يا عبد الله»؟ قال: نعم. قال: «ذاك جبريل فهو الذي شغلني عنك»[1].

كرامة ثابتة له بعد موته

عن سعيد؛ قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائرٌ لم يُرَ على خلقته، فدخل نعشه، ثم لم يُرَ خارجًا منه، فلما دُفن، تُليت هذه الآية على شفير القبر لا يُدرَى من تلاها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً

(١) أورده الهيثمي في المجمع (٩/٢٧٩) وقال: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح.

مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1] الآية[2].

وقال الإمام الذهبي - رحمه الله -: فهذه قضية متواترة[3].

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاة ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق[4].

فاللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح وافتح بنا قلوب الناس واجعلنا هُداةً مهديين ودُعاة إليك يا رب العالمين واستعملنا لنُصرة دينك.. وارزق الأمة بالعلماء المخلصين العاملين الذين يأخذون بأيدي الناس إلى جنتك ودار رضوانك.



(١) سورة الفجر: الآيات: (٢٧، ٣٠).

(٢) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٨٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٣٥٨).

(٤) صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

حسان بن ثابت ﷺ يدافع عن النبى ﷺ فيؤيده الله بجبريل عليه السلام

إنه حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه.

ولقد استخدم لسانه وشعره وكلامه فى الدفاع عن الإسلام وعن الحبيب ﷺ فكان الجزاء من جنس العمل.

فكما أيَّد النبى ﷺ بكلامه فقد أيده الله بجبريل عليه السلام.

قال ﷺ لحسان: «اهجُهم - أو هاجهم - وجبريل معك»[1].

وعن سعيد بن المسيب قال: مَرَّ عمر فى المسجد وحسان ينشد - وفى رواية: فلحظ إليه - فقال: كنت أنشد فيه وفيه مَن هو خير منك. ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عنى، اللهم أيده بروح القُدُس»؟ قال: نعم[2].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٢٣) ومسلم (٢٤٨٦) عن البراء.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٨٥).

النبى ﷺ يجعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين

كان النبى ﷺ قد اشترى فرسًا من رجلٍ أعرابى.. فطلب منه النبى ﷺ أن يتبعه ليُعطيه ثمن الفرس وترك الفرس مع الرجل الأعرابى حتى يأخذ ثمنه.

فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى.. فجاءه بعض الرجال وطلبوا منه أن يبيع لهم ذلك الفرس وهم لا يعرفون أن النبى ﷺ قد اشتراه.

وأخذوا يعرضون عليه سعرًا أكبر من الذى اشترى به النبى ﷺ ذلك الفرس.... فطلب منهم هذا الأعرابى أن ينتظروه دقائق معدودات.

فذهب ذلك الأعرابى إلى النبى ﷺ (وهم ما زالوا فى الطريق) وقال له: إما أن تدفع ثمن الفرس الآن وإلا فسوف أبيعه لغيرك.

فقال له النبى ﷺ: «أو َليس قد اشتريته منك؟».

فقال الأعرابي: لا والله ما بعتك هذا الفرس.

فقال النبي ﷺ: «بلى.. قد اشتريته منك».

فأخذ الناس يجتمعون حول النبي ﷺ وهم يسمعون ذلك الحوار الذي يدور بين النبي ﷺ وذلك الأعرابي.

فقال الأعرابي للنبي ﷺ: ائتني بشاهد يشهد أني قد بعتك ذلك الفرس.

فقال الناس للأعرابي: ويلك... النبي ﷺ لا يقول إلا حقًا.

فجاء خزيمة بن ثابت وسمع كلام الأعرابي للنبي ﷺ

فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بعت الفرس للنبي ﷺ.

فأقبل النبي ﷺ على خزيمة وقال له: بِمَ تشهد يا خزيمة؟

قال خزيمة: بتصديقك يا رسول الله.. فنحن نصدقك في خبر السماء.. أفلا نصدقك بما تقول...

فجعل النبي ﷺ منذ هذه اللحظة شهادة خزيمة بشهادة رجلين من المسلمين.

رزق ساقه الله لخبيب بن عدي

لما أخذ بنو الحارث بن عامر خُبيبًا أسيرًا، وكان خُبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارس موسى يستحدُّ بها [1]، فأعارته فدرج بنيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده وهو موثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا.

فانظر كيف كان جزاؤه من جنس عمله:

فلما حُبست قدمه عن السعي في الرزق سيق إليه الرزق موفقًا.

---

(1) أي طلب منهم موسى حلاقة ليحلق شعر العانة أسفل البطن.

وأخيرًا أبنى الحبيب.. ابنتى الغالية:

كانت هذه باقة عطرة من كرامات الصحابة ﭫ التى امتن الله تعالى بها عليهم لنعلم قدرهم ومنزلتهم العالية التى ارتفعت لتعانق كواكب الجوزاء.

فأسأل الله تعالى أن يجمعنا بهم فى جنته ومستقر رحمته مع الحبيب المصطفى ﷺ.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمرو / محمود المصرى

أبو عمار



الفهرس



الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

معجزات النبى ﷺ

من كرامات الصحابة رضي الله عنهم

الفهرس

* * *